جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء/ كلية التربيّة للعوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربيّة/ الدراسات العليا

السور المفتتحة بالتسبيح في القرآن الكريم(دراسة لغوية)

رسالة تقدمت بها الطالبة
زهراء محمد كريم آل بهية
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة كربلاء المقدسة
وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللُّغة العربيّة وآدابها/اللُّغة

إشراف
الأستاذ الدكتور
مكي محي عيدان الكلابي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) ﴾

الأعلى(١-١٩)

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(السور المفتتحة بالتسبيح في القرآن الكريم دراسة لغوية) التي قدمها الباحثة (زهراء محمد كريم) وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ووجدنا بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ اللُّغة وبتقدير (جيد جدًا).

التوقيع:
الاسم: أ.د. ليث قابل عبيد
رئيسًا
التاريخ: ٣٠/ ١ / ٢٠٢٢

التوقيع:
الاسم: أ.د. ماجد محسن راشد
عضوًا
التاريخ: ٢٧/ ١ / ٢٠٢٢

التوقيع:
الاسم: أ.م. د. أسامة عبد الغفور نصيف
عضوًا
التاريخ: ٢/ ٢ / ٢٠٢٢

التوقيع:
الاسم: أ.د. مكي محي عيدان
عضوًا ومشرفًا
التاريخ: ٢٠/ ١ / ٢٠٢٢

صادق مجلس كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة على إقرار لجنة المناقشة

التوقيع:
الاسم: أ.د. حسن حبيب عزر الكريطيّ
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/جامعة كربلاء
التاريخ: ٨/ ٢ /٢٠٢٢

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد الرسالة الموسومة بـ(**السور المفتتحة بالتسبيح في القرآن الكريم دراسة لغوية**) التي قدّمتها الطالبة (زهراء محمد كريم) قد جرى تحت إشرافي في كلية التربيّة للعلوم الإنسانيّة في جامعة كربلاء المقدسة، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ اللُّغة.

التوقيع

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

التاريخ / ١١/ ٢٠٢١

إقرار رئيس القسم

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

رئيس قسم اللغة العربية

رئيس لجنة الدراسات العليا

التوقيع

أ.د. ليث قابل الوائلي

التاريخ ٢٨/ ١١ /٢٠٢١

الإهداء

إلى مَن غمراني بينبوع حنانهما وصدق دعواتهما

نور عينيّ ورمز وجودي

والديّ الحبيبين

إلى زوجي وإخوتي

وإلى كل أحبائي الذين غمروني بحبهم

أهدي ثمرة جهدي

شكر وامتنان

بسم الله والصلاة والسلام على سيد الأوصياء والمرسلين

الحمد لله الذي يسّر لي إتمام هذه الدراسة التي ما كانت لترى النور لولا الجهود التي بذلها أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مكي محي عيدان الكلابي في قراءة مادتها ومتابعتها تنقيحًا وتصويبًا، فكان معينًا لي بتوجيهاته الكريمة، وإرشاداته القيمة، وكان لجهوده الأثر الطيّب في إخراجها إلى حيز الوجود، فله مني كلّ الشكر والتقدير ،وجزاه الله عني خير الجزاء، وأطال الله في عمره، وإبقائه خير سندٍ للغتنا العربيّة لغة القرآن الكريم.

وأتقدّم بالشكر الجزيل للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة هذه الدراسة، وعلى ما يقدمونه من آراء وتوجيهات كريمة تسهم في تصويبها وتقويمها، وسد ما يعتريها من نقص أو قصور، فبارك الله في جهودهم الطيّبة.

وأتقدّم بالشكر والتقدير لأساتذتي في قسم اللّغة العربيّة في كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة على ما قدموه من تسهيلات اسهمت في إعداد هذه الدراسة، حفظهم الله جميعًا.

وأشكر كلّ من قدّم لي يدّ العون وشدّ من عزمي لمتابعة الدراسة والبحث، وأوّلهم والدايّ الحبيبان، وزوجي وإخوتي، وأشكر كل شخص ساندني للوصول الى النهاية والى كل زملائي الذين عدوني ابنتهم ومدوا يد العونِ لي .

واخص بالشكر الاستاذ كاظم طارش والأستاذ علي نشمي عبيد، وحفظهم الله جميعًا.

وأسأل الله أن يكون عملي خالصًا إلى وجه الله تعالى.

الملخص

المسبحات يعد التسبيح بلفظ الماضي (سبح) او المضارع (يسبح) واما الانشاء فـ بالامر مثل (سبح – سبحان) فكان بالتسبيح حضور لافت في القران الكريم اذ جاء في سبعة وثمانين موضعاً مستوفياً ما قيل من اشكال التعبير حتى انه ابتدأ سبعاً من السور القرانية بلفظ التسبيح وهي (الاسراء ، الحديد ، الحشر ، الصف ، الجمعة ، التغابن ، الاعلى) وصار يطلق على هذه السور المفتتحة بالتسبيح (المسبحات) .

ولقد قسم العلماء سور القران الكريم على اربعة اقسام (الطوال و المئون والمثاني والمفصل) (فالطوال) من السور هي اطول سور القران الكريم كالبقرة و ال عمران والنساء والاعراف والمئون هي ما ولي الطوال وسميت بذلك لقرب عدد اياتها من المئة اية بزيادة قليلة او نقصان بالعدد وقليل مثل يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل والاسراء والكهف وغيرها اما (المثاني) هي ما ثنت بعد المئتين أي جائت بعدها اما المفضل ما بقي والقران الكريم واطوال و اوساط وقصار وسمي بالمفصل لكثرة الفصول بين السور فتقع السور المفتتحة بالتسبيح كلها ضمن (المثاني) الا سورة الاسراء فأنها من سور (المئين) .

ولقد اعتنت هذه الدراسة بالجانب الصوتي والصرفي لسور المسبحات فدرست مخارج الحروف وصفاتها والجانب الصرفي اعتنى بالمعاني والزوائد والازم والمتعدي وكذلك اهتمت بالجانب التركيبي فدرست التقديم والتأخير والايجاز والاطناب وعنت بالجانب الدلالي فدرست فيه العلاقات الدلالية والانتقال بين الازم والملزوم وقد توصلت الدراسة الى نتائج قيمة .

قـائمة المحتـويـات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ– ب
التمهيد: التعريف بالسور المفتتحة بالتسبيح	١–٥
١. عددها	٢–٣
٢. فضلها	٣
٣. بيانها الموضوعي	٣–٥
الفصل الأول: المستوى الصوتي والصرفي	٦–٥١
المبحث الأول: المستوى الصوتي	٦–٣٠
١. مخارج الأصوات	٦–١٣
٢. صفات الأصوات	١٤–٣٠
المبحث الثاني: المستوى الصرفي	٣١–٥١
١.الاصالة والزيادة	٣٢–٤٥
٢. التعدي واللزوم	٤٦–٥١
الفصل الثاني: المستوى التركيبي	٥٢–٩٣
المبحث الأوّل: التقديم والتأخير	٥٢–٧٣
١. التقديم في الرتبة	٥٣–٦٤
٢. التقديم بين الأشياء وترتيبها على نمط معيّن	٦٤–٧١
المبحث الثاني: الإيجاز والإطناب	٧٢–٩٣
١. الإيجاز	٧٢–٨٣
٢. الإطناب	٨٤–٩٣
الفصل الثالث: المستوى الدلالي	٩٤–١٣٣

المبحث الأوّل: المشكلات الدلالية	٩٤-١١٣
١. الترادف	٩٤-١٠٣
٢. المشترك اللفظي	١٠٣-١٠٧
٣. الأضداد	١٠٨-١١٣
المبحث الثاني: الانتقال بين اللازم الملزم	١١٤-١٣٣
١. المجاز	١١٤-١٢٦
٢. الكناية	١٢٦-١٣٣
الخاتمة	١٣٤-١٣٦
المصادر والمراجع	١٣٧-١٤٩
ملخص اللغة الإنكليزية	A-B

المقـدّمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمـــة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على عبده وحبيبه محمد المصطفى لرسالاته، والمرتضى بكلماته، أرسله بالهدى ودين الحقّ، وعرّفه من الشرائع ما جلّ ودقّ، صلوات عليه وعلى ابن عمه وخليفته المخلوق من نسخته وطينته وجعله مستودعا لعلمه وعلى الأئمة الأحد عشر من أولاده الّذين لم يعصوا الله طرفة عين وهم بأمره يعملون، وبحكمه يحكمون.

أمّا بعد فإنّ القرآن الكريم كان وما يزال ميدان دراسة واهتمام، إذ نُزِّلَ بكلامٍ معجزٍ بهر العقولَ وآنس النفوسَ، وشنّفت آياتُهُ الأسماعَ واهتدت به الإنسانية بعد الضياع، إذ دأب أكابر العلماء والفقهاء من أهل العلم والفضيلة جاهدين ومثابرين للاستشراف من عظيم معرفة الباري (عزّ وجلّ) وبالغ حكمته وبديع صنعته وجليل قدرته في كتابه المجيد والاهتداء بنور عزته وبهاء هيبته وكمال منزلته، إذ إنّ الوقوف على هذا الموضوع لم يكن من قبيل الصدفة، وإنّما ولعنا الشديد بعلوم اللغة ومستوياتها، فقد وقّر في ذهننا أنّ أحسن سبيل لإنماء معرفتنا اللغوية وإشباع رغبتنا، لن يكون إلّا باختيار موضوع في هذا المجال، ولعلّ من الأسباب التي حفزتنا على الإقبال عل هذا البحث، طموح الباحثة للتعامل مع نصوص الوحي الكريم، والاستزادة من نافع معطيات الدرس اللُّغوي في رحاب القرآن.

وهناك دراسة واحدة تناولت السور المسبحات هي :(المسبحات في القرآن دراسة دلاليّة بيانيّة)، وهناك دراسات لغوية كثيرة درست سور القرآن الكريم دراسة لغوية لا يسع المجال لذكرها. ووجدت في هذه السور مادةً لغويةً غزيرةً ومنوّعةً جديرةً بالدراسةِ؛ فعقدت العزم بعد التوكّل على الله، وبعد موافقةِ أستاذي الفاضل المشرف على العملِ في هذا البحثِ، وبدأت بقراءةٍ دقيقةٍ متأنيةٍ حتّى أتممتُ قراءةَ السورِ، فوقفت على المواضع اللُّغوية فيها، وبعد إتمام مرحلة جمع مادةِ البحثِ كان المنهجُ الّذي انتهجتهُ في الرسالةِ منهجًا وصفيًا تحليليًا. وقد اقتضت منهجية البحث أن تكون هذه الدراسة في تمهيدٍ سلطت فيه الضوء على السور المفتتحة بالتسبيح ، وفضائلها، وبنائها الموضوعيّ. ثم تلا التمهيد ثلاثة فصولٍ، وقد تضمّن الفصل

الأول مبحثين، فالمبحث الأوّل كان بعنوان: المستوى الصوتيّ، إذ عُنيَ بمخارج الأصوات وصفاتها، والمبحث الثاني كان بعنوان: المستوى الصرفيّ الّذي عني بمعاني الزوائد، واللزوم والتعدي،

وأمّا الفصل الثاني فكان بعنوان المستوى التركيبي تضمّن مبحثين، المبحث الأول عنوانه: التقديم والتأخير، والثاني درستُ فيه الإيجاز والأطناب

وكان الفصل الثالث بعنوان: المستوى الدلالي وتضمّن مبحثين أيضا، إذ بحثت في الأوّل العلاقات الدلالية، التي تضمنّت الترادف والتضاد والمشترك اللفظي، والمبحث الثاني جاء بعنوان: الانتقال بين اللازم والملزوم، والّذي درسنا فيه المجاز المرسل والمجاز العقليّ، والاستعارة والكناية. وأعقبت هذه الفصول خاتمة أبانت عن أهم النتائج التي توصّلت إليها الباحثة.

واعتمدت في البحث على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة في اللُّغة والتفسير والنحو والصرف والصوت والبلاغة، ومن أهمها تفسير الكشاف، والتحرير والتنوير ،وتفسير الدر المنثور وغيرها.

وأمّا الكتب اللغوية مثل: الكتاب، والأضداد، والخصائص، وأهمّ المعجمات العربية مثل: والصحاح، والمقاييس، ولسان العرب.

ولا يخلو أيّ بحث دراسي من بعض الصعوبات، وقد عانيت منها شيئًا ليس بالقليل ذللها لي ايماني بالله وثقتي بعونه لي، ورغبتي المتواصلة في طلب العلم، وكان لأستاذي الدكتور مكي محي عيدان الكلابي الأثر الرائد في تذليل كل المصاعب، إذ تمتع بسعةِ صدرهِ، وغزارةِ علمهِ وطيبِ خلقهِ، وطولِ صبرهِ، ورصانة ملاحظه القيّمة التي سددت لي خطاي في مسيرة البحث حتّى صار بهذه الصورة التي بين أيديكم.

التمهيد

التعريف بالسور المفتتحة بالتسبيح

التمهيد

التعريف بالمسبحات

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم رحمةً وهدى للعالمين فاستوفى كلّ ما من شأنه مصداقًا لهذا ، ومن هذه المصاديق تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص فجاء التسبيح في القرآن إخبارًا أو إنشاءً ، أمَّا الإخبار فذكر التسبيح بلفظ الماضي (سبح) أو المضارع (يسبح) وأمَّا الإنشاء فبالأمر مثل :(سبّحْ / سبحان) فكان للتسبيح حضور لافت في القران الكريم إذ جاء في سبعة وثمانين موضعًا مستوفيًا ما قيل من أشكال التعبير حتّى أنّه ابتدأ سبعًا من السّور القرآنية بلفظ التسبيح وهي:(الإسراء ، والحديد ، والحشر، والصف ، والجمعة ، والتغابن ، والأعلى) وصار يطلق على هذه السور المفتتحة بالتسبيح لفظ (المسبحات) .

وقد قسم العلماءُ سُور القرآن الكريم على أربعة أقسام هي:(الطوال والمئون والمثاني والمفصل) ، (فالطوال) من السور هي أطول سور القرآن الكريم كالبقرةِ وآل عمران والنساء والأعراف و(المئون) هي ما ولى الطوال وسمّيت بذلك لقرب عدد آياتها من المئة اية بزيادة قليلة أو نقصان في العدد وقليل مثل: (يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وابراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف) ، وغيرها:(المثاني) هي ما ثنت بعد المئين ، أي: جاءت بعدها قبل المفصل، ما بقي من القرآن الكريم اطوال وأوسط

وقصار وسميت بالمفصل لكثرة الفصول بين السور، وتقع السور المفتتحة بالتسبيح كلّها ضمن(المثاني) إلاَّ سورة الإسراء فإنَّها من سور(المئين)[١] .

وقال عالم الدين السخاوي (٦٤٣هـ):((وفي القران الكريم ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض، فميادينه ما افتتح بـ(الم) وبساتينه ما أُفتتح بـ(ألمر) ومقاصيره الحامدات وعرائسه المسبحات وديابيجيه (ال حم) ورياضه (المفصل) وقالوا ((الطواسيم والطواسين وال حم والحواميم))[٢] ومن ثم فأنَّ دراستنا هذه ستكون لما في هذه العرائس من جماليات وحلي وكرائم .

وقد جاءالتسبيح عند الزركشي (٧٩٤ هـ) قوله:((الثناء قسمان؛ إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص والإثبات نحو:(الحمد لله) في خمس سور أو (تبارك) في سورتين (الفرقان والملك) والتنزيه نحو(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) و (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلى) و (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و (يسبح لله) وكلّهم في سبع سورٍ، فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله نصفها لثبوت صفات الكمال ونصفها لسلب النقائص، و(سبح لله) هذه الكلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل؛ لأنّها الأصل ثم الماضي (سبّح لله) في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين ثم المستقبل في الجمعة والتغابن ثم الأمر في سورة الأعلى استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع، المصدر والماضي والمستقبل والأمر المخاطب فهذه أعجوبة وبرهان))[٣] .

عدد سورها وآياتها

المشهور عند العلماء أنّها سبع سور (الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى) وهو المعروف كما جاء عن غير واحد من العلماء[٤] إلاّ أنّ ثمة من عدّها ستاً بإخراج سورة الإسراء منها لأنها تعدّ من السور (المئين)[٥] وذهب القرطبي وابن كثير إلى أبعد من ذلك بأن جعلاها خمس سور بإخراج سورتي

---

[١]- ينظر : البرهان في علوم القران : ٢٣١/١ .

[٢]- جمال القراء وكمال الاقراء : ٣٥

[٣]- البرهان في علوم القران : ١٦٤/١- ١٦٥ .

[٤]- ينظر : البرهان في علوم القران ١٦٥/١ ، وتحفة الاحوزي شرح جامع الترمذي: ٢١٦١ .

[٥]- ينظر : سنن الدارمي:٢١٥٣/١.

الإسراء والأعلى منها[1] ونحن مع كونها سبع سور لخضوعها للضابط العام المندرج تحت معنى (التسبيح) لافتتاحها كلها بتسبيح الله وتنزيهه .

أمَّا عدد آياتها مجموعة فهو (٢٢٦) آية بواقع (مائة واحدى عشرة) آية في الإسراء و (تسع وعشرين) آية في الحديد و(أربع وعشرون) آية في الحشر و(اربع عشرة) آية في الصف و(احدى عشرة)آية في الجمعة و(ثماني عشرة) آية في التغابن و(تسع عشرة) آية في الأعلى .

والسور المفتتحة بالتسبيح من السور المدينة إلاّ سورتي (الإسراء والأعلى) أمَّا (الأعلى) فكلّها مكية بالاتفاق وأما (الإسراء) فقد قيل بوجود عدد من الآيات المكية فيها يتراوح عددها بين الأربع والست آيات .

فضائلها

تندرج فضائل هذه السور ضمن الفضائل العامة للقران الكريم في أنّه لاريب فيه، أحسن الحديث نزل به الروح الأمين، يهدي إلى الحق ويبشر المؤمنين وينذر المشركين وغيرها مما وصف بها القران الكريم نفسه، فضلا عما كان لها مجموعة (السور المفتتحة بالتسبيح بشكل عام) أو كل سورة من سورها على انفراد من السمات والمزيات والفضائل مما أفاضت فيه كتب التفسير وكتب علوم القران والكتب المتخصصة في تتبع فضائل السور القرآنية ولا أغالي إذا قلت إنه لم يخل كتاب من كتب التفسير أو كتب علوم القران من التفضيل في فضائلها مجتمعة أو منفردة بما نقلته من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم أو أئمة أهل البيت عليهم السلام أو ما نقل مرفوعا عند الصحابة والتابعين مما شكل ظاهرة أعنتنا عن الخوض في إيجاد مصاديق لها .

بناؤها الموضوعي

المقصود ببنائها الموضوعي هنا سر ابتدائها بالتسبيح وعلاقة ذلك بمحتويات السور وتناسيها مع السورة التي سبقتها إذ يظهر للباحث الترابط الوثيق بين خواتم

[1]- ينظر تفسير القرطبي : ٥/١٣ ، وتفسير ابن كثير : ٨٠١/٣.

السور السابقة ولفظ التسبيح المفتتح به هذه السور وسأحاول هنا أنْ أُقدّم وصفًا إجماليًا لِمَا أسلفت الإشارة إلية؛ ليكون مفتاحًا أمام القارئ لفهم البناء الهيكلي لهذه السور .

١- **سورة الإسراء** – سبقت هذه السورة بسورة (النحل) التي تعرضت لمظاهر من قدرة الله سبحانه وتعالى وتصرفه في الأشياء على نحو خارج عن المألوف من قدرة البشر فأشارت إلى عدد من خوارق النواميس مثل: جعل أمر الساعة كلمح البصر، ثم افتتح سورة الإسراء بواحدة من خوارق النواميس ممثلة بمسالة الإسراء والمعراج، والانتقال بين هذه المحطات في ليلةٍ واحدةٍ، فكان اللائق بالمقام أنْ ينزه الله نفسه عن النقص في القدرة ولا شيء أليق بهذا من الافتتاح بالتسبيح فضلًا عما في السورة من أخبار بالغيبيات مثل تقلب احوال بني إسرائيل في الماضي والمستقبل بين العز والذلة وأحاديث المعاد، وما لا يمكن لعقل الإنسان تصوره، فكان لابدّ من التنزيه عن القصور والكذب .

٢- **سورة الحديد** – سبقت هذه السورة بسورة الواقعة التي اكتنزت بذكر الغيبيات لحديثها الكامل في ما يقع في الآخرة ليختمها بقوله تعالى:((إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ))(الواقعة ٩٥ – ٩٦) فكان من المناسب افتتاح السورة التي بعدها (الحديد) بالتسبيح فضلا عمّا في هذه السورة من ذكر المبدأ المعاد والإيمان والزهد وإنْ كان الاطار العام لهذه السورة هو الحدث على الأنفاق، فلمّا كان الحديث في هذا كان من المناسب إبعاد النقص عن ذاته وعدم احتياجه لا نفاقهم لئلا يقال بحاجته أليهم فافتتح السورة بالتسبيح ليكون بين مظهرين يقتضيانه .

٣- **الحشر** – جاءت قبلها سورة(المجادلة)التي اشتملت على الأخبار بالغيبيات مثل: وعده المؤمنون بالنصر وتأييده إياهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وغلبة حزب الله فكان الملائم أنْ يبدا السورة التي بعدها (الحشر) بما ينزه ساحته سبحانه عن الكذب وليلائم ما جاء في السورة من الإخبار بالغيب بالإشارة إلى نقض اليهود عهودهم وما جره عليهم عن عقوبة فاستدعى تنزيهه عن الظلم، لأنّ عقابهم كان جزاء بما عملوا ولم يكن ظلمًا .

٤- **سورة الصف** – سبقت بسورة (الممتحنة) التي ختمت بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن تولي من غضب الله عليهم إذ يأمر الله المؤمنين بالبراءة منهم، ولمّا كان الأمر

قد يحتمل وجود شبهة ظلم في الأمر افتتح السورة اللآحقة (الصف) بما هو لائق بالتسبيح ولتنسجم مع تحذير المؤمنين من غضبه ومقته إن هم قالوا ما لا يفعلون، ولا يخفى أنَّ معنى النفاق والكذب واضح في هذا ممّا استدعى التقديم له بتنزيه الله سبحانه من مثل هذه النقائض .

٥- **سورة (الجمعة)**- سبقت بسورة (الصف) التي ختمت بتنزيه الله سبحانه وتعالى عمّا سواه والأمر للمؤمنين بأنْ يكونوا أنصارا لله، وذكر إقبال الحوارين على الله وكفر طائفة من بني إسرائيل فنزّه الله سبحانه وتعالى بأنْ أبعد تأييده عن الذين كفروا وأيّد المؤمنين بنصره مثبتاً تمام القدرة والتنزه عن كل شائبة نقص، فكان اللآئق أنْ يبدأ السورة اللآحقة (الجمعة) بالتسبيح ليلائم ما جاء فيها من ذكر النقص في البشر وما فيها في إظهار حكمته وقدرته داعيًا الناس إلى ما يتمم النقص فيهم خاتما السورة ببيان عدم احتياجه اليهم، لانّ ما عنده خير من التجارة واللهو المشغولين بهما فكانت السورة كلها دائرة في تلك التنزيه لذلك كان اللآئق بها أنْ تفتتح بالتسبيح .

٦- **سورة (التغابن)**- سبقت بسورة (المنافقون) التي اختتمت بدعوة المؤمنين للأنفاق ممّا رزقهم، وعدم ترك ذكر الله والالتهاء بالأموال والأولاد ولاشك أنَّ الدعوة إلى الإنفاق قد تعتريها شبهة النقص والعجز عن الإنفاق في ساحته سبحانه لذلك ابتدأ السورة اللاحقة (التغابن) بالتسبيح التي كررت دعوته سبحانه للأنفاق والترغيب فيه وإقراض الله وما قد يرافق دعوة (الإقراض) من شبهة الجر والنقص .

٧- **سورة (الأعلى)** – سبقت بسورة (الطارق) التي اختتمت بإمهال الكافرين في إشارة واضحة إلى إبعاد صفة (الاستعجال عنه) فضلا عمّا سبقه من نفي صفة (الهَزْل) عنه مذكرًا الخلائق بعجائب قدرة الله من تقدير مواقع النجوم، وأساس خلق الإنسان ومن ثم فالسورة كلّها تقف على ما قد يعتريه عدم التصديق وغيرها من صفات النقص فكان اللآئق أنْ تبتدئ السورة اللاحقة (الأعلى) بما ينزهه سبحانه ولتكون عنصر تخلص واضح نحو ما سيذكر فيها مما هو غير معهود عندهم كالإيجاد والتقدير والأمانة والعلم مناسبًا ذلك إلى الربّ الأعلى في إشارة واضحة إلى تنزيهه عن الشريك بانْ أرجع الأمور كلّها إليهِ في إشارة مسبحًا إياه دافعًا ما قد يعتري الكلام من تكذيب .

الفصل الأوّل

المستوى الصوتي والمستوى الصرفي

المبحث الأوّل: المستوى الصوتي:

اولًا: مخارج الأصوات.

ثانيًا: صفات الأصوات.

المبحث الثاني: المستوى الصرفي:

اولًا: الأصالة والزيادة.

ثانيًا: التعدي واللزوم.

المبحث الأول :- المستوى الصوتي

أولاً : مخارج الأصوات

المخرج في اللُّغة يدلُّ على معانٍ فيها المكان والزمان والمصدر، ولعلَّ الّذي يهمنا هنا هو المكان فقد قيل فيه أنّه ((موضع الخروج، يقال: خرج مخرجًا حسنًا، وهذا مخرجُه))[١] لذلك اطلق عند علماء اللُّغة على النقطة التي يخرج منها الصوت اللُّغوي بمعنى أنَّه مكان بدء خروج الصوت اللُّغوي بعد عملية تضييق لمجرى الهواء أو غلقه، ثم ترك النفس يخرج فيحدث الصوت ولمّا كان مسار النفس من الحنجرة إلى الشفة ذا محطات يمرّ بها الصوت تغيرت الأصوات بحسب المنطقة التي تشهد انطلاق الصوت بعد غلق المجرى الصوتي أو تضييقه[٢] .

لقد حظيت دراسة المخرج الصوتي بعناية علماء العربية منذ بدايات التأليف اللغوي بدءًا بالخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويه(ت١٨٠هـ) مرورًا بأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وأبن جني (ت٣٩٢هـ) وابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) والرضي الاستربادي(ت٦٨٤هـ) وغيرهم ولا يمكن إغفال جهود المعجميين وعلماء التجويد في هذا المجال بما لا يسع المقام للتوسع فيه .

إذ يُعدُّ الخليل بن احمد الفراهيدي أول من قدّم طريقةً لقياس المخارج وتصنيف الأصوات بحسب المخارج، إذ رتبها ترتيبًا مخرجيًا على الشكل الآتي: [ع ، ح ، هـ ، خ ، غ / ق ، ك / ج ، ش ، ض / ص ، س ، ز/ ط ، د ، ت / ظ ، ث ، ذ / ر ، ل ، ن / ف ، ب ، م / و ، ا ، ي] وجعل للهمزة مخرجًا مختصًا[٣]، وتوسع الخليل في سبب هذا التصنيف فقال: ((العين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية؛ لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأنّ مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان، والطاء والتاء نطعية؛ لأنّ مبتدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والدال والثاء لثوية،

---

[١] – الصحاح : مادة (خرج) : ١/ ٣٠٩ .

[٢] – ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٠٨

[٣] – ينظر : العين : ٤٨/١ .

لأنّ مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقية، لأنّ مبدأها من ذلق اللسان، والفاء والباء والميم شفوية، لأنّ مبدأها من الشفة والياء والواو والألف هوائية))[١] .

ويبدو أنّ لسيبويه رأيًا مخالفًا لرأي أستاذه في ترتيب الحروف بحسب المخارج فقد رتبها على النحو الاتي :-

ء ، أ ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ ، ك ، ق ، ض ، ج ، ش ، ي ، ل ، ر، ن ، ط ، د ، ت ، ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م ، و[٢] وقد توسع في شرح مناطق خروج الصوت ومبتدئه فكانت دراسته لها تتسم بالشمول والتفصيل والدقة[٣]، فكانت مخارج الأصوات عنده هي: الحلق والحنك واللسان والشفة والخياشم مع تفريعات داخلية دقيقة وصلت بها إلى ستة عشر مخرجًا .

أمّا في الدرس الحديث فقد استعان الباحثون بمعطيات الحضارة والتطور العلمي فاستعملوا الآلات الحديثة في تحديد الأصوات وقاسوا الحزم الصوتية واستقروا على تسعة مخارج للأصوات هي : الحلقية (أدنى وأقصى) و اللهوية والحنكية (أقصى وأدنى) والأسنانية (بين الاسنان / طرف الثنايا) والشفوية (ضم الشفتين/ شفوية اسنانية)[٤].

وسأحاول أنْ أتتبع الأصوات في السور المفتتحة بالتسبيح بحسب منطقة الخروج لذلك ستكون من الخارج إلى الداخل مطابقًا لرأي الدكتور رمضان عبدالتواب الذي وجدته أيسر التقسيمات وأوضحها فهي على الشكل الآتي:- (الشفوية ، الشفوية الاسنانية ، الاسنانية، الاسنانية اللثوية ، اللثوية ، الغارية ، الطبقية ، اللهوية ، الحلقية ، الحنجرية)[٥].

١- **الشفة** :-ويسمى الصوت شفويًا وأصواته هي : (الباء والميم والواو).

وقد وردت في السور المفتتحة بالتسبيح عدد (٢٩٣٧) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١,٣١٠	٥٧٥	٤١١	١٩٨	١٥٧	٢٤٣	٤٣

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

---

[١] - ينظر : العين: ٥٨/١ .

[٢] - ينظر : الكتاب : ٤٣١/٤ .

[٣] - ينظر : المصدر نفسه : ٤٣٤/٤ .

[٤] - ينظر : دروس في علم أصوات العربية : ٢٢-٢٣.

[٥] - ينظر : مدخل إلى علم اللغة : ٣٠-٣١ .

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٤,٦٠	%١٩,٥٧	%١٣,٩٩	%٦,٧٤	%٥,٣٤	%٨,٢٧	%١,٤٦

فشكلت بذلك سورة (الإسراء) أعلى النسب المئوية في الأصوات الشفوية في حين كانت سورة (الأعلى) هي الأقل في النسبة .

٢- **الشفة مع الأسنان** : ويسمى الصوت شفوي أسناني وأصواته (الفاء) .

وقد جاء هذا الصوت في السور المفتتحة بالتسبيح (٣٨٠) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٦٨	٧٢	٤٨	٢٦	١٧	٣٦	١٣

وقد جاءت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٤,٢١	%١٨,٩٤	%١٢,٦٣	%٦,٨٤	%٤,٤٧	%٩,٤٧	%٣,٤٢

فنلحظ من هذا التشكيل أنّ أعلى النسب المئوية في الأصوات الشفوية الاسناني وردت في سورة (الإسراء) أمّا الأقل من حيث النسب المئوية فقد كانت سورة (الأعلى) .

٣- **الاسنان** : ويسمى الصوت أسناني وأصواته هي: (الثاء والذال والظاء) .

وقد وردت الأصوات الأسنانية في السور المفتتحة بالتسبيح في (٧٢٩) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٤١	٤٥٣	٤٥	٢١	٢٩	٢٣	١٤

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%١٩,٣٤	%٦٢,١٣	%٦,١٧	%٢,٨٨	%٣,٩٧	%٣,١٥	%١,٩٢

فشكلت بذلك سورة (الحديد) أعلى النسب المئوية في الأصوات الاسنانية ، أمَّا أقل النسب المئوية فنجدها في سورة (الأعلى) .

٤-**الاسنان مع اللثة** :- ويسمى الصوت أسناني لثوي وأصواته هي (الدال ، والضاء ، والتاء ، والظاء ، والسين ، والصاد ، والزاي) .

وقد وردت هذه الأصوات في السور المفتتحة بالتسبيح بـ(١٤٦٢) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٧٢٧	٢٤٢	١٧٥	١٠٠	٨١	١٠٦	٣١

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٩,٧٢	%١٦,٥٥	%١١,٩٦	%٦,٨٣	%٥,٥٤	%٧,٢٥	%٢,١٢

فنلاحظ من خلال هذا الجدول أنَّ سورةَ (الإسراء) كانت هي الأعلى في النسب المئوية وسورة(الأعلى) هي الأقل في النسب .

٥-**اللثة** : ويسمى الصوت لثويًا وأصواته هي : (اللام والراء والنون) .

ويبلغ عددها في السور المفتتحة بالتسبيح (٣٩٠٥) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١,٧٨٣	٦٩٤	٥٨٩	٢٧٣	٢٠٩	٢٧٩	٧٨

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٥,٦٥	%١٧,٧٧	%١٥,٠٨	%٦,٩٩	%٥,٣٥	%٧,١٤	%١,٩٩

ومن خلال الجدول نلحظ أنّ أعلى النسب المئوية جاءت في سورة (الإسراء) وأقل النسب جاءت في سورة (الأعلى) .

٦-**الغار**: ويسمى الصوت غاريًا وأصواته هي : (الشين والجيم والياء) .

وقد وردت في السور المفتتحة بالتسبيح بـ(١١٧٠) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٥٣٤	٢١٤	١٥٨	٩٢	٦٩	٧٥	٢٨

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٥,٦٤	%١٨,٢٩	%١٣,٥٠	%٧,٨٦	%٥,٨٩	%٦,٤١	%٢,٣٩

وقد حققت سورة (الإسراء) في الأصوات الغارية أعلى النسب المئوية في حين جاءت سورة (الأعلى) بأقل النسب .

٧-**الطبق:** ويسمى الصوت طبقيًا وأصواته هي : (الكاف والعين والخاء)

وقد جاء عددها في السور المفتتحة بالتسبيح (٦٤٥) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٣٣٩	١٠١	٧٣	٣١	٣١	٥١	١٩

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥٢,٥٥	%١٥,٦٥	%١١,٣١	%٤,٨٠	%٤,٨٠	%٧,٩٠	%٢,٩٤

ويلاحظ أنّ الأصوات الطبقية في سورة (الإسراء) كانت هي الأعلى نسبة في حين كانت سورة (الأعلى) هي الأقل نسبة .

٨-**اللهاة** : ويسمى الصوت لهويًا وأصواته هي (القاف) .

وقد ورد عدد هذا الصوت في السور المفتتحة بالتسبيح (٣١٦) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٦٣	٤٩	٤٩	٢٠	١٤	١٥	٦

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥١,٥٨	%١٥,٥٠	%١٥,٥٠	%٦,٣٢	%٤,٤٣	%٤,٧٤	%١,٨٩

ويلاحظ أنّ أعلى النسب في الأصوات اللهوية جاءت في سورة (الإسراء) في حين جاءت أقل النسب في سورة (الأعلى) .

٩-**الحلق** : ويسمى الصوت حلقيًا وأصواته هي (العين والحاء) .

وقد بلغ عدد هذه الأصوات في السور المفتتحة بالتسبيح (٥٣٥) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٢٦٩	٩١	٥٧	٣١	٢٦	٤٩	١٢

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥٠,٢٨	%١٧	%١٠,٦٥	%٥,٧٩	%٤,٨٥	%٩,١٥	%٢,٢٤

فيلاحظ أنّ سورة (الإسراء) جاءت بأعلى النسب في الأصوات الحلقية في حين جاءت سورة (الأعلى) جاءت باقل النسب .

١٠-**الحنجرة**:-ويسمى الصوت حنجريًا وأصواته : (الهمزة والهاء) .

وقد ورد في السور المفتتحة بالتسبيح (١٤٢٦) صوتاً توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٦٤٠	٢٦٩	٢٢٤	٩١	٦٩	١٠٣	٢٧

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٤,٨٨	%١٨,٨٦	%١٥,٧٠	%٦,٥٩	%٤,٨٣	%٧,٢٢	%١,٨٩

فيُلاحظ أنّ أعلى النسب في الأصوات الحنجرية جاءت في سورة (الإسراء) في حين جاءت أقل النسب في سورة (الأعلى) .

ونحن نُلاحظ من خلال الجداول السابقة أنَّ سورةَ الإسراء بلغت في جميع مخارج الأصوات أعلى النسب إلاّ في الأصوات الأسنانية فقد جاءت في المرتبة الثانية أما أقل النسب ورودًا في جميع المخارج فهي سورة (الأعلى) ولعل السبب في ذلك راجع إلى قلة عدد كلماتها وآياتها.

ولو حاولنا ترتيب عدد مرات ورود الصوت بحسب الكثرة فسيكون ترتيبها على الشكل الآتي من الأكثر إلى الأقل اللام(٢٠٤٨) و الألف(٢٠٠٥) و النون (١١٩٨) و الميم (١١٩٢) والواو (١١٥٢) والياء (٥٩٣) والهمزة (٧٩٩) والراء (٦٦٦) والهاء(٦٣) والباء(٥٩٣) والتاء (٥٤٧) والكاف (٥٠١) والفاء (٣٨٠) والعين (٣٥٤) والقاف(٣١٦) و السين (٣١٥) والدال(٢٧٠) و الذال (٢١٩) والحاء (١٨١) والجيم (١٥٤) والخاء (١١٨) والصاد (١٠٢) والضاد (٩٤) والشين (٩٣) والزاي (٨٥) والثاء (٦٠) والغين(٥٣) والطاء(٤٩) والظاء (٤٧) .

أما اذا أردنا ترتيبها بحسب المخارج فسيكون ترتيبها مخرجيًا من الأكثر إلى الأقل كالآتي:-

١- الأصوات اللثوية (٣٩٠٥) .
٢- الأصوات الشفوية (٢٩٣٧) .
٣- الأسنان لثوية (١٤٦٢) .
٤- الحنجريّة (١٤٢٦) .
٥- الغارية (١١٧٠) .
٦- الأسنانيّة (٧٢٩) .
٧- الطبقية (٦٤٥) .
٨- الحلقية (٥٣٥)
٩- الشفوية أسنانيّة (٣٨٠) .
١٠-اللهوية (٣١٦) .

ويبدو لي أيضًا أنَّ أصوات مقدّمة الفمِ (الشفوية والأسنانيّة واللثوية) هي الأكثر ورودًا بـ(٩٤١٣) وجاءت بعدها أصوات وسط الفم (اللهوية والطبقية والغاريّة) بـ(٢١٣١) ثم لتأتي بعدها أصوات أقصى الجهاز النطقي (الحنجرة والحلق) بـ(١٩٦١) ممّا يظهر لنا التلاؤم الواضح بين أغراض السور القرآنية ونوعية الأصوات المعبرة عنها فالسور المفتتحة بالتسبيح سورٌ مدنية يلائمها ما كان لينًا من الأصوات ويصدر من مقدمة الجهاز النطقي. وفي ما يأتي جدولٌ لحروف اللغُة العربيّة وعدد ورودها في السور المفتتحة بالتسبيح:

الحرف	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى	المجموع
ء	٤١٩	١١٩	١٠٧	٤٥	٣٤	٥٥	١٧	٧٩٦
أ	١٠٤٣	٣٠٦	٢٢٣	١٢٢	٨٨	١٨١	٤٢	٢٠٠٥
ب	٣٢١	٩٤	٧٦	٣٢	١٩	٤٠	١١	٥٩٣
ت	٢٦٥	١٠٢	٦٠	٣٦	٣٦	٤٠	٨٠	٥٤٧
ث	٢٧	١٣	٧	لا يوجد	٧	٣	٣	٦٠
ج	٩٠	٢٢	٢٣	٧	٣	٥	٤	١٥٤
ح	٨٠	٣١	٢٤	١٣	١٠	١٦	٧	١٨١
خ	٦٠	١٦	٢١	٣	٤	٨	٦	١١٨
د	١٤٦	٣٠	٣٧	٢١	١٥	١٥	٦	٢٧٠

ذ	٩٥	٣٠	٣٣	١٥	١٧	١٨	١١	٢١٩
ر	٣٣١	١٢٥	٨٤	٤١	٢٤	٤٢	١٩	٦٦٦
ز	٤٤	١٢	١٠	٥	٧	٦	١	٨٥
س	١٦٠	٥٢	٣٨	٢٢	٩	٢٣	١١	٣١٥
ش	٤٣	١٣	١٩	٥	٤	٦	٣	٩٣
ص	٣٤	١٦	٢١	٩	٥	١٢	٥	١٠٢
ض	٤٨	٢٥	٥	١	٩	٦	لا يوجد	٩٤
ط	٣٠	٥	٤	٦	لا يوجد	٤	لا يوجد	٤٩
ظ	١٩	١٠	٥	٦	٥	٢	لا يوجد	٤٧
ع	١٨٩	٦٠	٣٣	١٨	١٦	٣٣	٥	٣٥٤
غ	٢١	١٢	٦	٣	٢	٨	١	٥٣
ف	١٦٨	٧٢	٤٨	٢٦	١٧	٣٦	١٣	٣٨٠
ق	١٦٣	٤٩	٤٩	٢٠	١٤	١٥	٦	٣١٦
ك	٢٥٨	٧٣	٤٦	٢٥	٢٥	٣٥	١٢	٥٠١
ل	٨٤٨	٣٨١	٣٢٧	١٤٨	١٣١	١٦٥	٤١	٢٠٤٨
م	٤٩٦	٢٦١	١٦٩	٨٤	٧٨	٩١	١٣	١١٩٢
ن	٦٠٤	١٨٨	١٧٨	٨٤	٥٤	٧٢	١٨	١١٩٨
ه	٢٢١	١٥٠	١١٧	٤٩	٣٥	٤٨	١٠	٦٣٠
و	٤٩٣	٢٢٠	١٦٦	٨٢	٦٠	١١٢	١٩	١١٥٢
ي	٤٠١	١٧٩	١١٦	٨٠	٦٢	٦٤	٢١	٩٢٣
آ	١٧٤	١٣١	١٠٧	٤٥	٤٩	لا يوجد	١٩	٥٢٥

ثانيًا: صفات الأصوات

تمتلك الأصوات العربيّة صفات يمتاز بعضها على بعض فيها حتى اعتمدت الصفات من مواضع التمييز بين الأصوات اللُّغوية وفضلت على مخارج الأصوات في هذا المجال لاشتراك عدد من الأصوات في المخرج الواحد لكنها تختلف في ما بينها من حيث الصفات و ((الواو والصاد والفاء أصلٌ واحدٌ وهو تحْليَة الشَّيء و وصفته أصِفُه وَصْفاً والصَفَة الأمارة اللاّزمة للشّيء))[١]. والوصف وصفك الشيء بحليته ونعته واتصف الشيء اذا صار متواصفًا[٢] .

أمّا اصطلاحيًا فقد عُرّفت بتعريفات متعددة ولاسيما في كتب التجويد التي اعتنت بصفات الأصوات لِمَا لها من أثرٍ كبيرٍ في نطق الصوت وتجويده، فقد قيل في صفة الصوت: ((هي كيفية تعطى للحرف عند النطق به))[٣]، والحقيقة أنَّ هذا التعريف يميل إلى التعميم، لأنّه لم يتعرض لأثر الصفة في الأصوات، ولذلك اعتقد أنَّ التعريف الأقرب هو القول بأنَّها:((كيفية للحرف عند حصوله في المخرج تميّزه عن غيرها))[٤]، ولعلَّ الملاحظ في الجهد العربي في صفات الأصوات أنَّ علماء التجويد كانوا أكثر تفصيلًا من غيرهم لِمَا لهذا الموضوع من أثر في طبيعة نطق الصوت وتحسينه ومعرفة ما يجوز فيه من الإدغام وما لا يجوز وما يجوز إخفاؤه عند النطق، وما لا يجوز وما يمكن مده وما لا يمكن وغير ذلك[٥] .

ويزخر الدرس الصوتي العربي بالتعرض لهذه الصفات ويمكن أنّ مصاديق لهذا في مؤلفات الخليل (ت١٧٥هـ) لكنها كانت قليلة وغير واضحة لذلك يعد سيبويه(ت١٨٠هـ) هو نقطة الشروع الحقيقة في هذا المجال فقد أدراك قيمتها بوصفها ملمًا نطقيًا يسهم في تمايز الأصوات وعدم اختلاطها ولاسيما ما كان منها بين حروف المخرج الواحد الطاء والدال أو الصاد و السين أو الظاء والذال، فقد تمايزت هذه الأصوات بالصفات لا بالمخارج لأن

١–مقاييس اللغة : (مادة وصف) : ٨٧/٦

٢– ينظر : لسان العرب : (مادة وصف) : ٣٥٦/٩

٣– الواضح في احكام التجويد :٤٣

٤ – الجديد في علم التجويد : ٤٢

٥ – ينظر : الواضح في احكام التجويد : ٤٣

مخارجها واحدة[١] وذكر سيبويه اثنتي عشرة صفة للأصوات هي: ((الجهر الهمس والشدة والرخاوة وما بينهما والمنحرف والغنة والمكرر واللين والمطبقة والمنفتحة والهاوية))[٢] .

أمّا المحدثون فقد ذكروا خمس عشرة صفة للأصوات هي:(الجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة و المتوسطة بينهما والإطباق و الانفتاح و القلقلة و الصفير والغنة والانحراف و التكرار والتفشي واللين)[٣]. والملاحظ أنّ ثمة صفات مستحدثة عندهم مثل القلقلة و الصفير في حين كان مصطلح التفشي قريبًا من الهاوي عند القدماء .

وتقسم صفات الأصوات على قسمين هما [٤] :-

١ – الصفات اللازمة التي لا تفارق الصوت

٢ – الصفات العارضة التي تطرأ على الصوت في أحوال معينة كالمد والإدغام والتفخيم

و تنقسم الصفات اللازمة على قسمين أيضًا هما :-

١ – الصفات المتقابلة : الهجر والهمس ، والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح ، والاستعلاء والاستفال وغيرها .

٢ – الصفات التي لا مقابل لها كاللين و الخفاء والهاوي والصفير وغيرها

وسأعمد هنا إلى ذكر المتقابلات أولًا ثم أذكر غير المتقابلات بعدها من أجل الإلمام بالموضوع والإحاطة بجزيئاته، وسنعتمد في تصنيف الأصوات بحسب الصفات على رأي القدماء دون المحدثين؛ لقربها من الواقع اللُّغوي ولاسيما ما جاء عن ابن الطحان(ت٥٦١هـ) في كتابه (مخارج الحروف وصفاتها) .

١ – الهمس و الجهر :-

يقول سيبويه عن الأصوات المجهورة هي حروف أُشبع الاعتماد عليه في موضعه ومُنع النفس أنْ يجري معها، حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت معه وأصواته هي:(الهمزة ، الألف ، العين ، الغين ، القاف ، الجيم ، الياء ، الضاد ، اللام ، النون ، الراء ، الطاء ،

---

[١] – ينظر : الكتاب : ٤٣٦/٤

[٢] – ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٧

[٣]– ينظر : المدخل الى علم أصوات العربية : ١٠١ و ١١٧

[٤]– ينظر : الواضح في احكام التجويد : ٤٣

الدال ، الزاي ، الظاء ، الذال الباء ، الميم ، الواو)، وبذلك فان عدد الحروف المجهورة عنده تسعة عشر حرفًا .

أمّا المهموسة : فهي أحرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى النفس معه وأصواته هي : (الهاء ، الحاء ، الخاء ، الكاف ، الشين ، السين ، التاء ، الصاد ، الثاء ، الفاء) وبذلك فقد جاءت عنده عشر أحرف[١] .

أما ابن منظور(ت٧١١هـ) فالمجهور عنده هو صوت أشبع الاعتماد في موضعه حتى مُنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوات ، وأصواته هي (الهمزة ، الألف ، العين ، الغين ، القاف ، الجيم ، الياء ، الضاد ، اللام ، النون ، الراء ، الطاء ، الدال ، الزاي ، الظاء ، الذال ، الباء ، الميم ، الواو)[٢] .

أمّا المهموس فهو حرف جرى معه النفس فكان دون المجهور في رفع الصوت وأصواته هي: (الهاء والحاء و الخاء و الكاف والشين و الصاد و الثاء و السين و التاء)[٣] .

أمَّا عند المحدثين فالصوت المجهور :- هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان وعكسه المهموس فهو الذي لايهتز معه الوتران الصوتيان ، ولايسمع لهما رنين حين النطق به[٤]، والأصوات المجهورة هي: (ع غ ج ي ل ر ن د ض ز ذ ظ ب م و)، و المهموسة (هـ ح خ ق ك ش ت ط س ص ف ث)[٥] .

وقد اختلف القدماء مع المحدثين في عدد الأصوات المجهورة والمهموسة، فالقدماء يعدون الأصوات المجهورة تسعة عشر صوتًا ويعدها المحدثون ستة عشر صوتاً أمّا المهموسة فعند القدماء عشرة أصوات و عند المحدثين اثنا عشر صوتًا بإضافة القاف و الطاء إلى الحروف التي ذكرها القدماء وقد وردت الأصوات المجهورة في السور المفتتحة بالتسبيح (١٢١٠١) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٥,٨٠١	٢,١٢٨	١,٦٥١	٨٢٠	٥٥١	٩٣٤	٢١٦

[١]- ينظر : كتاب سيبويه : ٤-٤٣٤

[٢]- ينظر : اللسان : (مادة جهر) : ١٤٩/٤

[٣]- ينظر : اللسان : (مادة همس) : ٢٥٠/٦

[٤]- ينظر : الاصوات اللغوية : ٥٢ – ٥٣

[٥]- المدخل الى علم اصوات العربية : ١٠٢

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٧,٩٣	%١٧,٥٨	%١٣,٦٤	%٦,٧٧	%٤,٥٥	%٧,٧١	%١,٧٨

أمّا الأصوات المهموسة بلغت في السور المفتتحة بالتسبيح(٢٩٠٠) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١,٣١٦	٥٣٨	٤٠١	١٨٨	١٥٢	٢٢٧	٧٨

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٥,٣٧	%١٨,٥٥	%١٣,٨٢	%٦,٤٨	%٥,٢٤	%٧,٨٢	%٢,٦٨

وبلغت سورة الإسراء في الأصوات المجهورة والمهموسة أعلى نسب، أمّا اقل النسب فقد جاءت في سورة الأعلى أي ان الاصوات المجهورة أكثر من المهموسة ودلالة ذلك أن الجهر هو السطو والقوة وتقليب الحق على الباطل .

٢ – الشدة والرخاوة :-

قال سيبويه(ت١٨٠هـ) أنّ الصوت الشديد ((هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف ، والكاف ، والجيم، والطاء ، والتاء ، والدال ، الباء ، وذلك انك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجرِ ذلك))[١] .

أمّا الصوت الرخو فهو الصوت الذي يجري معه الصوت و أصواته هي:((الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، والذال، الفاء، وذلك اذا قلت الطّس و انقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت))[٢] .

أمّا ابن منظور(ت٧١١هـ) فقد عرّف الشديد أنّه الحرف الذي يمنع الصوت أنْ يجري فيه وأصواته :((الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، التاء، الباء))[٣] .

---

[١]- الكتاب : ٤٣٤/٤

[٢]- المصدر نفسه: ٤٣٤/٤ – ٤٣٥

[٣]- لسان العرب : مادة (شدّ) : ٢٣٢/٣

و((الرخو هو الذي يجري فيه الصوت وأصواته: الثاء و الحاء والخاء و الذال و الزاي والظاء والصاد و الضاد و الغين والفاء والسين والشين والهاء))[١] .

أمّا المحدثون فقد اطلقوا على الأصوات الشديدة الأصوات الانفجاريّة وتنتج ((بأن ينحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسًا تامًا في موضع من المواضع. وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أنّ يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء، محدثًا صوتًا انفجاريًا فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها بـ(الوقفات)، ولكنها باعتبار الانفجار تسمى الأصوات الانفجارية))[٢] وهي:((الباء و التاء و الدال و الطاء والضاد والكاف و القاف والهمزة))[٣] .

والأصوات الرخوة هي الأصوات الاحتكاكية وتكون: ((بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع ويجري من خلال منفذ ضيق نسبيًا يحدث في خروجه احتكاكًا مسموعًا . والنقاط التي يضيق عندها مجرى الهواء كثيرة متعددة ، فنخرج منها الأصوات الاحتكاكية الآتية :((الفاء والثاء والدال والظاء والسين والزاي والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء))[٤] وقد وردت الأصوات الشديدة أو الانفجارية في السور المفتتحة بالتسبيح (٣٢٨٨) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٦٩٢	٤٩٤	٤٠٢	١٩٢	١٧١	٢٠٩	١٢٨

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥١,٤٥	%١٥,٠٢	%١٢,٢٢	%٥,٨٣	%٥,٢٠	%٦,٣٥	%٣,٨٩

أمّا الأصوات الرخوة فجاءت في السور المفتتحة بالتسبيح (٢٣٧٧) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى

[١]- لسان العرب: مادة (رخو) : ٣١٤/١٤

[٢]-علم الأصوات: ٢٤٧.

[٣]- المصدر نفسه : ٢٤٨

[٤]- المصدر نفسه : ٢٩٧

العدد	١٠٢٠	٤٥٢	٣٥٤	١٥٧	١٣١	١٩٢	٧١

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٢,٩١	%١٩,٠١	%١٤,٨٩	%٦,٦٠	%٥,٥١	%٨,٠٧	%٢,٩٨

وقد بلغت سورة الإسراء أعلى النسب في الأصوات الشديدة والرخوة بينما سورة الأعلى جاءت باقل النسب .

٣ – الإطباق والانفتاح :-

قال سيبويه(ت١٨٠هـ): ((فأمّا المطبقة : فالصاد و الضاد والطاء والظاء و المنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لانّك لاتطبق لشيء، منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأمَّا الدال والزاي ونحوهما فإنّما ينحصر الصوت اذا وضعت لسانك في مواضعهن .

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان وقد بيّن ذلك بحصر الصوت.

ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا والصاد سينًا والضاد ذالًا ولخرجت الضاء من الكلام؛ لانّه ليس شيء من موضعها غيرها))[١] .

أمّا ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقال أن أصوات ((الإطباق هو ارتفاع طائفة من اللسان إلى الحنك ، فينحصر الريع بينهما والانفتاح ضد ذلك؛ وهو انخفاض تلك الطائفة ، ولا يكون – هنا – حصر الريع))[٢] .

أمّا المحدثون فقد قالوا أنّ الأصوات المطبقة هي:((انتقال اللسان من وضعه الأمامي الضيق إلى ما تتطلبه أصوات الاطباق من صعوده نحو الحنك الأعلى متخذًا شكلًا مقعرًا))[٣] .

---

[١]– كتاب سيبوية : ٤٣٦/٤

[٢] – مخارج الحروف وصفاتها:٩٣ .

[٣]–الاصوات اللغوية :٤٧

أمّا علماء العربية فقد ذكروا أنَّ الأصوات المطبقة هي التي((يصير الحنك كالطبق على اللسان))[١].

وقد وردت الأصوات المطبقة في السور المفتتحة بالتسبيح (٢٩٢) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٣١	٥٦	٣٥	٢٢	١٩	٢٤	٥

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٤,٨٦	%١٩,١٧	%١١,٩٨	%٧,٥٣	%٦,٥٠	%٨,٢١	%١,٧١

أمّا الأصوات الانفتاحية فقد جاءت في السور المفتتحة بالتسبيح (١٤٩٧٥) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٧١٦٠	٢٦١٠	٢٠١٧	١٩٧٢	٧٧١	١١٣٧	٣٠٨

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٧,٨١	%١٧,٤٢	%١٣,٤٦	%١٣,١٦	%٥,١٤	%٧,٥٩	%٢,٠٥

وقد جاءت سورة الإسراء بأعلى النسب في الأصوات الطبقية والانفتاحية بينما سورة الأعلى جاءت بأقل النسب .

٤- الاستعلاء والاستفال :-

تحدث سيبويه(ت١٨٠هـ) عن الاستعلاء في باب ما يمتنعُ من الإمالة من الألفات فقال:((فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء ..... وإنّما منعت هذه الحروف من الإمالة ؛ لانّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى))[٢] .

---

[١]- شرح الشافية: ٢٦٣/٣

[٢]- كتاب سيبويه : ١٢٨/٤ ، ١٢٩

لكن سيبويه لم يقدم تعريفًا صريحًا للاستعلاء ولكن العلماء الذين جاءوا بعده قدموا لهذا المصطلح تعريفًا بارزًا ومنهم ابن الطحان(ت٥٦١هـ) الذي قال:((والاستعلاء علم الصوت – عند النطق به – إلى الحنك ؛ فينطبق الصوت مع حروف الإطباق ، ويستعلي في الغين والخاء والقاف وغير ذلك منطبق))[١]

أمّا الاستفال فهو:((ضد ذلك ؛ وهو انخفاض اللسان والصوت إلى قاع الفم))[٢]

أمّا عند المحدثين فقد جاء الاستعلاء وهو:((أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى جهة الحنك الأعلى ..... وهي ط ض ظ ص غ خ ق))[٣] .

الاستفال هو:((التي يستفل اللسان عند تلفظها وهي باقي الحروف))[٤] .

وقد وردت أصوات الاستعلاء في السور المفتتحة بالتسبيح (٨٤٥) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٣٧٥	١٣٣	١١١	٩٦	٣٩	٥٥	٣٦

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٤,٣٧	%١٥,٧٣	%١٣,١٣	%١١,٣٦	%٤,٦١	%٦,٥٠	%٤,٢٦

وأصوات الاستفال وردت في السور المفتتحة بالتسبيح (١٤,٣٤٤) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٦٧٤٢	٢٥٤٩	١٩٤١	٩٦٠	٧٥١	١١٠٦	٢٩٥

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى

[١]- مخارج الحروف وصفاتها : ٩٣

[٢]- المصدر نفسه : ٩٣

[٣]- مدخل الى علم الأصوات : ١٣١

[٤]- التطور النحوي : ١٦

النسب	%٤٧	%١٧,٧٧	%١٣,٥٣	%٦,٦٩	%٥,٢٣	%٧,٧١	%٢,٠٥

إنّ أعلى النسب في أصوات الاستعلاء والاستفال جاءت في سورة الإسراء، وأمَّا أقل الأصوات جاءت في سورة الأعلى .

٥- المد واللين :-

في الدرس الصوتي القديم شاع مصطلح أصوات المدّ واللين دلالة على الأصوات الثلاثة الألف و الواو و الياء . وهذا الاستعمال القديم يرجع إلى سيبويه(ت١٨٠هـ) وقد وصف الواو والياء بالأصوات اللينة؛ لان مخرجهما يتسع لهواء الصوت اشد من اتساع غيرهما، ووصف الألف بالهاوية؛ لان مخرجه اتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع مخرج الياء و الواو[١] .

وأمّا ابن طحان(ت٥٦١هـ) فقد قال إنَّ أصوات المدّ واللين هي:((امتداد الصوت ولينه : صفتان مرتبطتان واتساع الصوت –في الألف – اكثر، كما أنّه في الياء – بعد الكسر – وفي الواو – بعد الضم – أظهر ؛ وهو فيها أحطّ واندر))[٢] .

أمّا العلماء المحدثون قالوا إنّ ((أصوات اللين في اللّغة العربيّة هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة وكذلك ما سموه بألف المد وياء المد و وأو المد))[٣] .

وقد وردت أصوات المد واللين في السور المفتتحة بالتسبيح (٤٠٨٧) صوتًا و توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١٩٣٧	٧٠٥	٥٠٥	٢٨٤	٢١٠	٣٦٤	٨٢

وقد توزعت النسب المئويّة على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٧,٣٩	%١٧,٢٤	%١٢,٣٥	%٦,٩٤	%٥,١٣	%٨,٩٠	%٢

و وردت أعلى النسب في أصوات المد واللين في سورة الإسراء أمّا أقل النسب فوردت في سورة الأعلى.

---

[١] – ينظر كتاب سيبويه: ٤ / ٤٦٤

[٢] – مخارج الحروف وصفاتها : ٩٤ .

[٣] – علم الأصوات : ١٣٢.

٦ – الصفير :–

تعرض سيبويه(ت١٨٠هـ) لهذا المصطلح من دون الإشارة إلى تعريفه[١] وقد بين معناها من جاء بعده وهو ابن الطحان(ت٥٦١هـ) إذ قال :((أنّ الصفير هو حدة الصوت كالصوت الخارج عن ضغط ثقب))[٢] .

أمّا الدرس اللغوي الحديث نجد علماء الصوت يجمعون كلّ الأصوات التي تحدث في نطقها ذلك الحفيف أو الصفير عاليًا كان أو منخفضًا في صعيد واحد ، فالأصوات التي يسمع لها صفير واضح في رأي المحدثين هي ((الثاء والذال والزاي و السين و الشين و الصاد و الظاء والفاء))[٣] .

وقد وردت أصوات الصفير في السور المفتتحة بالتسبيح (٥٠٢) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:–

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٢٣٨	٨٠	٦٩	٣٦	٢١	٤١	٧١

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :–

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٧,٤١	%١٥,٩٣	%١٣,٧٤	%٧,١٧	%٤,١٨	%٨,١٦	%٣,٣٨

ونلاحظ أنّ سورة الإسراء جاءت بأعلى النسب في أصوات الصفير وسورة الأعلى جاءت باقل النسب .

٧ – التفشي :–

لقد قال سيبويه(ت١٨٠هـ) عن هذا المصطلح: ((الشين لا تُدغم في الجيم ، لان الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء ، فصارت منزلتها منها نحوًا من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها و التفشي))[٤] .

---

[١] – ينظر كتاب سيبويه : ٤٦٤/٤

[٢] – مخارج الأصوات وصفاتها : ٩٤

[٣] – الاصوات اللغوية : ٧٥

[٤] – كتاب سيبويه : ٤٤٨/٤

وابن الطحان(ت٥٦١هـ) قد أوضح معنى التفشي:((هو انتشار خروج الريح وانبساطه حتّى يتخيل أنْ صوت الشين انفرش))[١] .

أمّا المحدثون فأنَّ أكثرهم قد أهمل هذه الصفة ولكن تكمن أهمية هذه الصفة في تتبع سلوك ذلك الصوت في التركيب وفي تفسير الظواهر الصوتية التي تخصه[٢] .

وقد وردت أصوات التفشي في السور المفتتحة بالتسبيح (١٥٣) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٧٠	٢٦	٢٦	٥	١١	٩	٦

وتوزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٥,٧٥	%١٦,٩٩	%١٦,٩٩	%٣,٢٦	%٧,١٨	%٥,٨٨	%٣,٩٢

وقد وردت أعلى النسب في سورة الإسراء في أصوات التفشي بينما وردت أقل النسب في سورة الصف

٨ – الاستطالة :-

وصف سيبويه الضاد والشين بهذه الصفة فقال : ((لانَّ الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء))[٣] .

وقد ذكر ابن الطحان(ت٥٦١هـ) معنى الاستطالة فقال :((تمدّ عند نبات الضاد ؛ للجهر و الاستعلاء تمكنها من أوّل حافة اللسان إلى منتهى طرفه؛ فاستطالت بذلك؛ فلحقت مخرج اللام))[٤] .

وإنّ بعض علماء التجويد قالوا إنَّ الاستطالة تعني امتداد الصوت من أوّل حافة اللسان إلى آخرها[١] وقد ورد صوت الاستطالة في السور المفتتحة بالتسبيح (٩٤) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي:-

---

[١]- مخارج الحروف وصفاتها : ٩٤

[٢]- ينظر : دروس في علم الصوتية العربية : ٣٨

[٣]- كتاب سيبويه : ٤٥٧/٤

[٤]- مخارج الحروف و صفاتها : ٩٥/٩٤

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٤٨	٤٥	٥	١	٩	٦	لايوجد

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥١,٠٦	%٢٦,٥٩	%٥,٣١	%١,٠٦	%٩,٥٧	%٦,٣٨	لايوجد

لقد جاءت أعلى النسب في سورة الإسراء بصوت الاستطالة بينما أقل النسب جاءت في سورة الأعلى حيث لا يوجد في هذه السورة أيَّ حرف استطالة .

٩- التكرير :-

إنَّ العلماء القدماء ذكروا هذه الصفة للراء إذ قال سيبويه(ت١٨٠هـ) : ((ومنها المكرر ، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى الصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء))[٢]

أمّا ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقد قال عن هذه الصفة أنّها : ((تضعيف يوجد في جسم الراء؛لارتعاد طرف اللسان بها وتقوى مع التشديد ولا يبلغ به حدًّا يقبع))[٣]

أمَّا علماء العربية فقد قالوا : ((والراء صوت مكرر ؛ لان التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها ، كإنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقًا لينًا يسيرًا مرتين وثلاثًا لتتكون الراء العربية))[٤]

وقد ورد الصوت المكرر في السور المفتتحة بالتسبيح (٦٦٦) صوتًا توزع بحسب الجدول الاتي:-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٣٣١	١٢٥	٨٤	٤١	٢٤	٤٢	١٩

وتوزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

---

[١]- ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٢

[٢]- كتاب سيبويه : ٤٣٥/٤

[٣]- مخارج الحروف وصفاتها : ٩٥

[٤]- الاصوات اللغوية : ٦٠

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٩,٦٩	%١٨,٧٦	%١٢,٦١	%٦,١٥	%٣,٦٠	%٦,٣٠	%٢,٨٥

فقد وردت أعلى النسب في الصوت المكرر بسورة الإسراء بينما أقل النسب وردت في سورة الأعلى .

١٠ – الانحراف :-

لقد وصف سيبويه(ت١٨٠هـ) صوت اللام بانه صوت منحرف فقال :((ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام ، وإنْ شئت مددت فيها الصوت . وليس كالرخاوة ، لانَّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك))[١].

أمَّا ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقد قال في الانحراف هو : ((خروج من صفة إلى صفة ؛ فاللام لم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض التشديد ، ولإخرج معه الصوت خروجه مع الرخو . والراء انحراف عن مخرج النون الذي هو اقرب المخارج إليه إلى مخرج اللام))[٢].

ونلاحظ من خلال تعريف ابن الطحان(ت٥٦١هـ) أنَّه أضاف صوت الراء إلى صفة الانحراف .

أمَّا العلماء المحدثون فأنَّ بعضَهم يسميه الصوت الجانبي ويمثل في العربية صوت اللام ويكون ((بوضع عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أصوات من احدهما))[٣].

وقد وردت أصوات الإنحراف في السور المفتتحة بالتسبيح (٢٧١٤) صوتاً توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١١٧٩	٥٠٦	٤١١	١٨٩	١٥٥	٢٠٧	٩٧

[١]- كتاب سيبويه : ٤/٤٣٥

[٢]- مخارج الحروف وصفاتها : ٩٥

[٣]- علم الاصوات : ٣٤٧

وتوزعت النسب المئوية على الشكل الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	%٤٣,٤٤	%١٨,٦٤	%١٥,١٤	%٦,٩٦	%٥,٧١	%٧,٦٢	%٣,٥٧

ويتبين من خلال الجدول أنَّ أعلى النسب في أصوات الانحراف جاءت في سورة الإسراء بينما أقل النسب جاءت في سورة الأعلى .

١١- الغنة :-

تحدث العلماء القدماء في الغنة ومنهم سيبويه(ت١٨٠هـ) إذ قال:- ((ومنها حرف شديد يجري معه الصوت؛ لانَّ ذلك الصوت غنة من الأنف فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجرِ معه الصوت وهو النون وكذلك الميم))[١] .

أمّا ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقد قال عن الغنة هو:((الصوت الزائد على جسم الميم، منعبث من الخيشوم المركب فوق غار الحلق الأعلى، يصدق هذا أنَّك لو أمسكت أنفك لم يتمكن خروج الغنة، ولتغير الصوت بالنون؛ لعدم الغنة المقدرة لها))[٢] .

والغنة عند المحدثين هي :- ((الصوت الذي يخرج من الأنف ..... وأصوات الغنة (أي: الأنفية) في العربية صوتان هما النون والميم))[٣].

واشترط عدد من العلماء أنَّ لوجود الغنة في الميم والنون يجب أنْ تكونا ساكنتين ، فإنْ تحركا صار العمل في هذه الأصوات للسان و الشفتين دون الأنف[٤] .

وقد بلغت اعداد صوت الغنة في السور المفتتحة بالتسبيح (٢٣٩٠) صوتًا توزعت بحسب الجدول الاتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	١١٠٠	٤٤٩	٣٤٧	١٦٨	١٣٢	١٦٣	٣١

وتوزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى

[١]- كتاب سيبويه :٤ /٤٣٥

[٢]- مخارج الاصوات وصفاتها : ٩٥

[٣] - مدخل الى علم الاصوات : ١٢٧ – ١٢٨

[٤] - المصدر نفسه : ١٢٨

النسب	%٤٦,٠٢	%١٨,٧٨	١٤,٥١	%٧,٠٢	٥,٥٢	%٦,٨٢	١,٢٩

لقد وردت أعلى النسب بأصوات الغنة في سورة الإسراء بينما أقل النسب وردت في سورة الأعلى .

١٢-القلقلة :-

وهي من المصطلحات التي ذكرها سيبويه(ت١٨٠هـ) بقوله : ((واعلم إنَّ مِن الحروف حروفًا مشربة ضغطت من مواضعها ، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ، ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ، ..... وذلك في القاف ، والجيم ، والطاء ، والدال ، والياء والدليل على ذلك أنّك تقول : الحذف فلا تستطيع إنْ تقف إلَّا مع الصويت لشدة ضغط الحرف ، وبعض العرب أشد صوتًا ، كأنَّهم الذين يرمون الحركة))[١] .

أما ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقد قال إنَّ القلقلة هي:((صوت حادث -عند خروج حروفها- بالضغطة عن موضعها، ولا يكون إلَّا في الوقف ولا يستطاع إنّ يوقف دونها مع طلب إظهار ذاته؛ وهي – مع الرّوم – اشدّ))[٢] .

أمَّا العلماء المحدثون فيرجعون القلقلة إلى الشدة ، فالأصوات الشديدة تتميز بأنَّ نطقها يقتضي حبس النفس ثم إطلاقه ، فيندفع الهواء المحصور بشدة محدثًا صوتًا بعد انفصال أعضاء النطق ، ولا يتأتى نطق الصوت الشديد نطقًا كاملًا من غير إنْ يتبع بهذا الصوت سواء أكان مجهورًا أم مهموسًا لكنه مع المجهور أوضح))[٣] .

وقد وردت أصوات القلقلة في السور المفتتحة بالتسبيح (١٣٨٢) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٧٥٠	٢٠٠	١٨٩	٨٦	٥١	٧٩	٢٧

وتوزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٥٤,٢٦	%١٤,٤٧	١٣,٦٧	%٦,٢٢	%٣,٦٩	%٥,٧١	%١,٩٥

[١]- كتاب سيبويه : ١٧٤/٤ .

[٢]- مخارج الأصوات وصفاتها : ٩٦

[٣]- ينظر : المدخل الى علم اصوات العربية : ١١٠ .

يتبين من خلال هذا الجدول أنَّ أعلى النسب في الأصوات القلقلة جاءت في سورة الإسراء بينما أقل النسب جاءت في سورة الأعلى .

١٣- النفخ :-

قال سيبويه(ت١٨٠هـ):((وأما الحروف المهموسة فكلما تقف عندها مع نفخ لأنهنّ يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر ؛ وإنما تنسل معه ، وبعض العرب أشد نفخًا ، كأنّهم الذين يرمون الحركة فلابد من النفخ لأن النفس تسمعه كالنفخ))[١] .

أمّا ابن الطحان(ت٥٦١هـ) فقد تحدث عن النفخ، وقال : ((صوت حادث ، عند خروج حرفه بضغطه عن موضعه ولكنه دون ضغط القلقلة؛ لأنك تجد الصوت إذا خرج من الصدر أنسل آخره أصوات قد فتر بين الثنايا كانه وجد منفذًا؛ فيسمع نحو النفخة؛ كالضاد ترى أنه قد وجدت منفذًا بين الأضراس))[٢] .

أمَّا العلماء المحدثين فلم يتكلموا عن هذا المصطلح، وقد بلغت عدد أصوات النفخ في السور المفتتحة بالتسبيح (٤٩٠) صوتًا توزعت بحسب الجدول الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
العدد	٢٠٦	٧٧	٥٠	٧٥	٣٨	٣٢	١٢

وقد توزعت النسب المئوية على الشكل الآتي :-

السورة	الإسراء	الحديد	الحشر	الصف	الجمعة	التغابن	الأعلى
النسب	%٤٢,٠٤	%١٥,٧١	%١٠,٢٠	%١٥,٣٠	%٧,٧٥	%٦,٥٣	%٢,٤٤

ومن خلال الجدول تبين أنَّ أعلى النسب جاءت في سورة (الإسراء) بأصوات النفخ بينما أقل النسب جاءت في سورة (الأعلى) .

ونلاحظ مما تقدم سابقًا أنَّ سورة (الإسراء) وردت بأعلى النسب في جميع الصفات بينما يقابلها العكس ورودًا بأقل النسب جاء في سورة (الأعلى) ما عدا صفة التفشي جاءت بأقل النسب في سورة الصف .

---

[١]- كتاب سيبويه : ١٧٥/٤ .

[٢]- مخارج الحروف وصفاتها : ٩٦ – ٩٧ .

المبحث الثاني : المستوى الصرفي

أوّلًا: الصرف والتصريف في اللُّغة والاصطلاح:

ذكر ابن فارس(ت٣٩٥هـ) أنّ ((الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء من ذلك صرفت القوم صرفاً وانصرفوا اذا رجعتهم فرجعوا))[١] ، ومعنى الصّرف عندنا أنَّه شيءٌ صرف إلى شيء ، ومنه صرفت الدينار دراهم ، لذلك سمي العامل بالنقد صيرفيّ[٢] و((الصرف أنْ تصرف إنسانًا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك وصّرف الشيء أعمله في غير وجه كأنّه يصرفه عن وجه إلى وجه))[٣] ، وعلى هذا المعنى جاء الصرف والتصريف في القرآن الكريم لتدل على معنى التغيير والتحويل ومنه قوله تعالى:((صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ))[٤] وقوله تعالى ((رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ))[٥] وقوله تعالى ((وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))[٦].

أما في الاصطلاح فإنَّه يدل على العلم الذي يبحث في أبنية الكلمة العربية وصيغها وبيان حروفها من حيث الأصالة والحذف والزيادة والصحة والإعلال وغير ذلك من أبواب تقليب الكلمات وتكاد الموضوعات التي يتناولها الصرف تنحصر في بابين رئيسين هما الأفعال المتصرفة والأسماء المتمكنة لما يدخلها في صروف التغيير والتبديل طارحًا البحث في الأسماء المبينة والأفعال الجامدة والأسماء الأعجمية لجمودها على صيغة واحدة ومن ثم يصعب مراقبة التغيير الحاصل فيها من حيث الحركة والسكون وعدد الحروف وترتيبها وزيادتها ونقصانها .

يشتمل علم الصرف على دراسة عدد من الموضوعات لعلَّ من أوضحها الميزان الصرفي وحروف الأصالة والزيادة والصحة والإعلال والتصرف والجمود والتعدي واللزوم وإسناد

---

[١] – مقاييس اللغة : مادة (صرف) : ٢٦٨/٣

[٢] – ينظر : المصدر نفسه ، ولسان العرب : مادة (صرف) : ١٨٩/٩

[٣] – لسان العرب : مادة (صرف) : ١٨٩/٩

[٤] التوبة : ١٢٤ .

[٥] – الفرقان : ٦٥ .

[٦] – البقرة : ١٦٤

الأفعال إلى الضمائر ، والمصادر والمشتقات والتذكير والتأنيث والتصغير والنسب والإعلال والإبدال وأنواع الهمزات وبعد التدقيق والفحص وجدت أنّ أوضح ما يظهر فيه المعنى هو بابا التعدي واللزوم وصيغ المزيد من الأفعال لذلك سأحاول تفحص هذين البابين في السور المفتتحة بالتسبيح مع التعريج على الأثر الدلالي لهما .

١ – الأصالة والزيادة

الحروف الأصلية هي الحروف التي "يسميه الصرفيون مجردًا ويعرفونه بأنه كل فعل حروفه أصلية لاتسقط في أحد التصاريف الا لعلة تصريفية"[١] والحقيقة أنّ هذا يدخل الدرس الصوتي من جهة الميزان الصرفي ولا علاقة له بالدلالات لذلك سأستغني عن البحث فيه .

أما الزيادة فهي ما يضاف إلى أصل الكلمة لغرض دلالي معين لا تتحققه الصيغة الصرفية الأصلية فثمة فرق دلالي واضح بين الفعل الأصيل (قتل) وبين صيغ الزيادة الداخلة على الجذر اللُّغوي نفسه في مثل:[قتّل / قاتل / استقتل / انقتل / اقتتل.....][٢] .

تحققت الزيادة في الأفعال عن طريقين اثنين هما التضعيف وأحرف الزيادة ، والتضعيف يعني ادغام الحرف في مثله (عظّم / علّم.....)وأحرف الزيادة هي الحروف العشرة المجموعة في قولهم (سألتمونيها)[٣] .

ويمكنني رسم تصور كامل عن أحرف الزيادة من خلال دخولها على الأفعال الثلاثية وغيرها بالشكل الآتي[٤] :

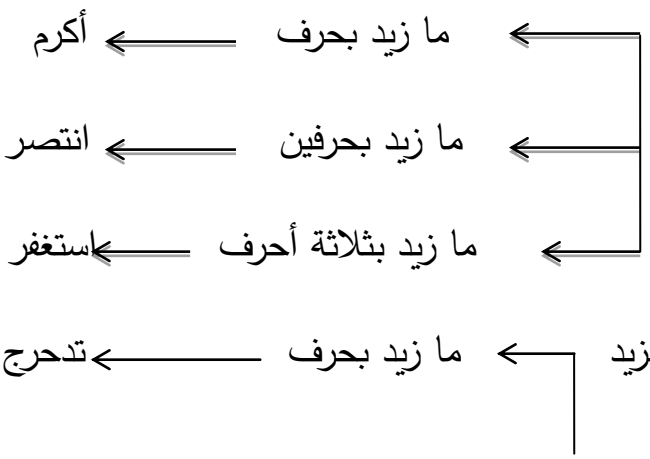

[١] – التطبيق الصرفي:٢٧

[٢] – ينظر : شذا العرف في فن الصرف : ٧٣

[٣] - ينظر : الصرف الكافي : ٤٣ .

[٤] - ينظر : شذا العرف في فن الصرف : ٧٣ – ٧٥ .

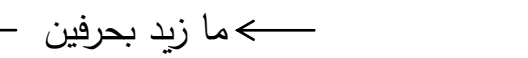

والحقيقة إني لم أجد في السور المفتتحة بالتسبيح شيئًا من أوزان الفعل الرباعي المزيد لذلك سأعرض عنها واكتفي بالتعرض للفعل الثلاثي المزيد .

أ- الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد

أن الفعل الثلاثي المزيد بحرف يكون على ثلاثة أوزان هي (فعّل) و (أفعل) و (فاعل) ولكلٍّ منها دلالات استحدثت في الفعل من خلال أحرف الزيادة وقد جاءت هذه الصيغ الثلاث في السور المفتتحة بالتسبيح بحسب كثرة ورودها، إذ جاءت مرتبة بحسب الكثرة إلى (افعل/فعّل/فاعل) .

أوّلًا: صيغة (أفعل)

يؤتى بالفعل على صيغة (أفعل) لتأدية عدد من المعاني لعلَّ من أشهرها التعدية والدخول في الزمان أو المكان والسلب والصيرورة والاستحقاق وغيرها .

- **التعدية** – تعني تحويل الفعل من اللازم إلى المتعدي فقولك:(خرج) لازم حوّلْته إلى متعدٍ بقولك:(أخرج) وهو في الدلالة يدل على أنّ أحدًا ما صيّرك إلى هذه الحالة مثل:(خرج محمّدٌ) التي تدل على خروجه هو من ذاته أمّا (أخرج زيدٌ محمدًا) فتدل على أنّ زيدًا صيره إلى الخروج[١] وقد جاء على هذا في كثير من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح .
- ومنه قوله تعالى ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ))[٢] فقد انتقلت الصيغة (اسرى) بالعبد من أنْ يكون ساريًا بنفسه إلى أنْ يكون ثمة من جعله ساريًا ولم يكن مسيره من طوع ذاته[٣] ومنه قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[٤] فقد جاءت الصيغتان (يُنزل) و (يُخرج) لتنقل الفعلين (نزل) و (خرج) من اللزوم إلى التعدي بأنْ لم تكن الآيات نازلة، وإنَّما مُنزلة ولم يكونوا هم خارجين بفعلهم

---

[١] – شرح الشافية : ٨٦/١ .

[٢] – الإسراء : ١ .

[٣] – ينظر : التحرير والتنوير : ٢٤/١٤

[٤] – الحديد : ٩

وإنَّما مُخرجون بأمر الله[١] وهو المعنى الذي جاء في أكثر من موضع في السور المفتتحة بالتسبيح[٢] .

- **الصيرورة** : تعني أنْ يتحول الشيء ليكون على حال جديدة فيكون متصفًا بها على نحو التحول والصيرورة كقولهم [ألبنت الشاة] صارت ذات لبن و [أبلح النخل] صار ذا بلح وأعسر صار ذا عسر وغيرها[٣]. وقد جاء هذا الوزن (أفعل) للدلالة على الصيرورة في عدد من المواضع منها:((إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا))[٤]. فكلا الفعلين [أَحْسَنْتُمْ أَسَأْتُمْ] تحتمل معنى الصيرورة، والمعنى إنْ كنتم ذوي إحسان أصوات ذوي إساءة فمرجع ذلك على أنفسكم إيجابًا أصوات سلبًا[٥] .

ومن هذا المعنى قوله تعالى:((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ))[٦]. والمعنى أن لايكون مسرفًا أصوات يصير ذا إسراف فكان الفعل (يُسرف) من (أَسرف) يدل على الصيرورة[٧] .

ويمكن حمل قوله تعالى:((لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا))[٨] فالفعل (تُفسدن) دلت على تحولهم إلى الفساد وصيرورتهم فُسّادًا ومما يقوي ذلك عندي أنَّ المقام كان مقام حديث عن تغيّر الأحوال ببني إسرائيل بين الغلبة والخسران .

ومن الصيرورة أيضًا قوله تعالى ((لَهُ مُلْكُ السَّمَاوات وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٩] فدلَّ الفعلان (يحي ويميت) على صيرورة الميت حيًا وصيرورة الحي ميتًا والمعنى"انه يحي في الدنيا ويميت الاحياء،وقيل يحي النطف وهي موات،ويميت الأحياء وقيل يحي الأموات للبعث" وجاء هذا المعنى في بيان قدرة الله وتصرّفه في الخلائق .

---

١ – ينظر : نظم الدرر : ٣٥٩/٨ .

٢ – ينظر : الإسراء : ١ ، ٢ ، ٦ ، ١٣ ، ٥٤ ، والحديد : ٧ ، ٨ ، ٩ ، والحشر : ٢ ، ٧ ، ١١ ، والصف : ٥ ، ١٣ ، التغابن : ٣ ، ٨ ، ١١ وغيرها .

٣ – المهذب في علم التصريف : ٧٩ .

٤ – الإسراء : ٧

٥ – ينظر : مجمع البيان : ١٩٨/٦

٦ – الإسراء : ٣٣

٧ – ينظر : الميزان : ٤٩/١٣ .

٨ – الإسراء : ٤ .

٩ – الحديد : ٢ .

- **الإتيان بالشيء على صفة** : وهو بيان حال الفاعل وكونه على صفة معينة مثل أجدبت كانت مجدبة وغيرها ويمكن تلمس الشاهد على ذلك في قوله تعالى:((لعلكم تفلحون))[١]؛ فقد ذكر هذا الوصف بعد أنَّ أوضح للمؤمنين ما يفعلونه بعد انقضاء صلاة الجمعة حيث أمرهم بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله وذكر الله كثيرًا عسى أنْ يكون على صفة من الفلاح فيكونون من المفلحين[٢]. ومنه أيضًا قوله تعالى:((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى))[٣] تَزَكَّى))[٣] أي: اتصف بالفلاح مَنْ كان يتزكى فيكون مُفلحًا .

ثانيًا:- صيغة (فعّل) : يؤتى بالفعل الثلاثي مزيدًا بتضعيف عينه على وزن فعّل لتأدية عدد من المعاني لعل من أشهرها :

١-**التكثير** : ومعناه إعادة الفعل مرة بعد مرة[٤] ولعلَّ من الأمثلة على هذا المعنى قوله تعالى:((وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا))[٥] فأنهم سيأتون بالتتبير كلما علوا ولما كان العلو على درجات والارتقاء شيئًا بعد شيء فان التتبير سيكون متعددًا[٦] .

ومنه أيضاً قوله تعالى:((وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا))[٧]، فإن التبذير المشار إليه يكون على سبيل الكثرة الكثرة أي يكون متعددًا متكثرًا[٨] ، ومنه قوله تعالى ((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الْأَرْضِ))[٩] فأنَّ التسبيح متكرر مستمر غير متوقف وقد عضد هذا المعنى الإيتان بالفعل بصيغة المضارع التي تدل على الحال والاستقبال وورد هذا المعنى في بعض السور كذلك في صورة الماضي والامر[١٠] ، ويمكن حمل عدد من الألفاظ على المعنى ذاته مثل (دمرناها) و (يعذبكم) و (سبّح)[١١] .

---

[١] – الجمعة : ١٠

[٢] – ينظر : البحر المحيط : ٢٦٥/٨ .

[٣] – الأعلى : ١٤ .

[٤] – ينظر : كتاب سيبويه : ٦٤/٤ .

[٥] – الإسراء : ٧

[٦] – ينظر : الميزان : ٢٤/١٣

[٧] – الإسراء : ٢٦

[٨] –ينظر : مجمع البيان : ٢١٧/٦ .

[٩] – الجمعة : ١ ، وينظر : الحشر : ٢٤ ، والتغابن : ١

[١٠] – ينظر : فتح القدير : ١٩٩/٥.

[١١] – ينظر : الإسراء : ١٦ ، ٥٤ ، ٤٤ ، والحشر : ١ ، والصف : ١ ، والجمعة : ١ ، وغيرها .

٢-**التعدية** : يُعدّ التضعيف أحد طرائق التعدية إلى جانب الهمزة وحرف الجرّ فأنَّها تدخل على اللازم فتصيّره متعديًا إلى مفعولٍ واحدٍ، وقد تدخل على المتعدي إلى مفعول واحد فتجعله متعديًا إلى مفعولين[١] ويمكن حمل عدد من الآيات في السور المفتتحة بالتسبيح على هذا المعنى، مثل قوله تعالى:((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا))[٢] فقد انتقل الفعل (كذب) من اللزوم إلى التعَّدي بالتضعيف ، ومن هذا المعنى قوله تعالى ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ))[٣] فقد عُدّيَ الفعل (فضَل) اللازم ليكون متعديًا إلى مفعول به .

أما ما يجعل المتعدي إلى مفعول به واحد متعديًا إلى مفعولين فمنه قوله تعالى:((وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))[٤]. فالفعل (علم) هنا متعدٍ إلى مفعول به واحد لكنه بالتضعيف صار متعديًا إلى مفعولين .

٣-**جعل الشيء على صيغة معينة** : وهنا تسهم الصيغة الصرفية في جعل الشيء متصفًا بصفة معيّنة عند الإتيان بها على صيغة (فعّل) ومن هذا قوله تعالى:((وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى))[٥]. فالملاحظ إنَّ الفعلين جاءا مرتبين أحدهما على الآخر [ذكر فصلى] ولما لم يأتِ (ذكر) للدلالة على التكثير أصوات غيره فأنّ الفعل المعطوف عليه (صلى) سيكون بعيدًا عن التكثير، وإنَّما جاء للدلالة على إتصاف الإنسان بالصلاة فقد أفلح من كان على هذه الصفة[٦] ولعلني يمكنني حمل قوله تعالى:((وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ))[٧] فالمانع من إرسال الآيات على الأولين إنَّما هو اتصافهم بأنهم مكذبون بها واتصافهم بهذا الوصف جعلها صفة لازمة لهم ترتب عليها التوقف عن إرسال الآيات[٨].

---

١ – ينظر : شرح المفصل : ٦٤/٤ .

٢ – التغابن : ١٠

٣ – الإسراء ٥٥ ، وينظر : ٧٧ ايضاً .

٤ – الجمعة : ٢ .

٥ – الأعلى : ١٥

٦ – ينظر : المحرر الوجيز : ٢٦/٧ .

٧ – الإسراء : ٥٩

٨ – ينظر : الوجيز : ٤٥٣

ومنه أيضًا قوله تعالى (فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا)[١]. فلما اتصفوا بالكفر والتولي استغنى الله ، وقريب منه قوله تعالى:((فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))[٢]، فليس في الفعل المضعّف توليتم الاّ كونهم متصفين بهذه الصفة على نحو الثبوت وهو المعنى الذي يمكن الوقوف عليه أيضاً في قوله تعالى:((وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ))[٣]، فانهم عند نصرهم المزعوم ستكون صفتهم أنْ يُولوا الإدبار فعرضها بوصفها صفة ثابتة منهم .

ومنه أيضًا ما يمكن حمله في قوله تعالى:((الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى))[٤]. فقد وصف المخلوقات المخلوقات بالاستواء والاستقامة وأبعد عنها النقص والاعوجاج .

ومما يمكن حمله على هذا المعنى ما جاء في مفتتحات السور من الفعل (سبّح) غير المذكور معها مفعولها فكأنّه أراد التركيز على كونها مسبحةً متصفة به على نحو الثبوت فيكون من سماتها أنّ التسبيح صفة لها[٥] .

٤-السلب : يكون هذا المعنى بسلب الصفة عن الأشياء ولعلَّ مِن أوضح ما يمكن الاستشهاد به على هذا المعنى قوله تعالى:((يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ))[٦] فالتكفير يعني الستر حتى حتى كأنها لم تكن فهي بمعنى أزلناها وأذهبناها كما صرح بذلك المعجميون[٧] ويمكن حمل الفعل (عذّب) على هذا المعنى فكأنه أزال عنه عذوبة العيش، وقد ورد في قوله تعالى:((لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا))[٨] .

٥-الصيرورة : يكون هذا المعنى بقصد التحويل إلى أنْ يكون ذو شيء متحولًا إليه ومنه قوله تعالى:((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ))[٩]. و(بوّء) تأتي بمعنى جعله ذا مباءة أي:

---

[١] – التغابن : ٦

[٢] – التغابن : ١٢

[٣] – الحشر : ١٢

[٤] – الأعلى : ٢

[٥] – ينظر : كل الافتتاحات جاءت من دون ذكر المفعول ما عدا سورة الأعلى التي جيء فيها بالمفعول وسورة الإسراء التي افتتحت باسم المصدر (سبحان)

[٦] – التغابن : ٩

[٧] – ينظر : فتح القدير : ١٤٩٧

[٨] – الحشر : ٣

[٩] – الحشر : ٩

توطن واستقرار فهم قد تحولوا من كونهم مهاجرين إلى كونهم من ذوي المباءة[١] ولعلني يمكنني حمل الفعل (فضّل) على هذا المعنى أيضًا فهو بمعنى (جعلناه مفضلًا)، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:((فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ))[٢]، و((وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))[٣]، فالظاهر أنَّ التفضيلَ أمرٌ حاصلٌ بعد الخلق فكانوا قد صُيّروا مفضلين على غيرهم . ومما يمكن حمله على هذا المعنى أيضًا قوله تعالى:((وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى))[٤]، فقد صيّره الله ميسرًا لليسرى بعد أنْ لم يكن كذلك .

وليس ببعيد عن هذا قوله تعالى في وصف الإنسان:((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ))[٥] وقوله: ((قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ))[٦]، فقد دل الفعل المضعف (كرّم) على كون التكريم أمرٌ حادث وصائر إليه بدلالة اعتراض ابليس على هذا التكريم، فكأنّ الكرامة كانت للجن ثم صيرها لبني آدم[٧] .

ثالثًا:- صيغة (فاعَل) : تكاد دلالة هذه الصيغة تنحصر في معنيين رئيسين هما المشاركة والموالاة ، أمَّا المشاركة فتدلَّ على تشارك اثنين أو أكثر في فعل واحد مثل قاتل وجادل وعاهد وغيرها[٨]، وأمَّا الموالاة فتدلُّ على متابعة أحد الفاعلين للآخر أو حدوث أحدهما بسبب الآخر، ولكن ورود صيغة (فاعل) في هذين المعنيين لا يخلو من معانٍ عرضية أحيانًا كالتعدية وسأحاول أنْ اتتبع معاني هذه الصيغة (فاعَل) في السور المفتتحة بالتسبيح .

١-**المشاركة** : جاء هذا المعنى في قوله تعالى:((وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ))[٩] فالمشاركة هنا تظهر المساواة بين الشيطان وأوليائه في الأموال والأولاد حتى كأنهما على قدر واحد من التصرف .

---

[١] – ينظر : فتح القدير : ١٤٧٢

[٢] – الإسراء : ٢١ .

[٣] – الإسراء : ٧٠ .

[٤] – الأعلى : ٨ .

[٥] – الإسراء : ٧٠ .

[٦] – الإسراء : ٦٢ .

[٧] – ينظر : التحرير والتنوير : ١٥١/١٤

[٨] – ينظر : كتاب سيبويه : ٢٣٩/٢ .

[٩] – الإسراء : ٦٣ .

ومن هذا المعنى قوله تعالى:((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا))[١]، وقوله وقوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ))[٢] فالفعلان (يقاتلون /قاتلوا) /قاتلوا) يدلان على المشاركة وكأنّهم لم يقتلوا ولم يكن منهم القتل، وإنَّما كان أمرهم مدافعه الكفار والذب عن الإسلام مما يظهر الطرفين متشاركين في القتال ، وليس ببعيد عن هذه الدلالة استعماله الفعل (جاهد) في قوله تعالى:((تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ))[٣]، وكأن الجهد مقسم بينهم وبين عدوهم فيجهد كلّ واحدٍ منهم الآخر .

ومن هذا المعنى قوله تعالى:((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ))[٤]،"اي سارعوا مسارعة المسابقين بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وتوبوا مما وقع منكم من المعاصي" فكان السعي إلى مغفرة الله مسابقة وتجاذب وسعي حثيث بين الخلائق فكلّهم في حالة من السبق والسعي الحثيث.

٢-**الموالاة** : تأتي صيغة (فاعل) لتأدية معنى الموالاة فتكون هنا بمعنى (أفعل) المتعدي أصوات بمعنى (فعّل) التي للتكثير[٥] .

وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى:((إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ))[٦]، فقد أظهرت الصيغة (فاعَل) أنَّ المضاعفة تكون موالية للإقراض وكأن الإقراض الحسن سبب فيه فتأتي المضاعفة موالية له ، ومن هذا المعنى قوله تعالى:((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[٧]. فقد كانت العلاقة بين المشاقة والعقاب والعقاب علاقة تلازم وتوالٍ إذ يكون العقاب مواليًا للمشاقة .

٣-**الصيرورة** : قد تأتي (فاعَل) للدلالة على الصيرورة بأنْ تجعل الشيء متحولًا إلى صيغة معينة ومثاله قوله تعالى:((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

---

[١] – الصف : ٤ .

[٢] – الحديد : ١٠ .

[٣] – الصف : ١١ .

[٤] – الحديد : ٢١ .

[٥] – ينظر : الأبنية الصرفية في السور المدنية – رسالة ماجستير: ٥٦ .

[٦] – التغابن : ١٧ .

[٧] – الحشر : ٤ .

الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ))[1] فصيغة (فاعل) جاءت بالفعل (بارك) لتدلّ على صيرورته مباركًا فقد باركه الله بأنْ جعل فيه ما يصيره إلى هذا الوصف .

ب-الفعل الثلاثي المزيد بحرفين أو اكثر :

١.الفعل المزيد بحرفين : يأتي الفعل المزيد بحرفين على خمسة أوزان[2] هي :

ولم يرد منه إلاّ ثلاثة أوزان في السور المفتتحة بالتسبيح هي: (انفعل) و (افتعل) و(تفعّل)، ولم تِرِد الأفعال المزيد على وزني (تفاعل) و (افعلَّ) لذلك سأقتصر على ما ورد من هذه الأوزان دون غيرها وسأرتبها بحسب كثرة ورودها .

-**افتعل** : جاءت هذه الصيغة المزيدة في ثلاثة عشر موضعًا، وقد توزعت دلالاتها على الشكل الآتي :

أ – دلالة المطاوعة : وهي الدلالة الغالبة لهذا الوزن كما جاء في كتب الصرف[3] وهي في في هذا المعنى تكون نائبة عن صيغة (انفعل) في الأفعال التي يكون الحرف الأوّل فيها (لام) أو (راء) أو (نون) أو (ميم) أو (واو)، إذ يتعذر مجيء صيغة (انفعل) من هذه الأفعال لذلك يستعاض عنها بصيغة (افتعل)، وقد ورد هذا الوزن في عدد من المواضيع في السور المفتتحة بالتسبيح في مثل قوله تعالى:((قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا))[4]، فالفعل (التمس) على وزن (افتعل) من الفعل (لمس) المبدوء باللام ، وقوله تعالى:((فَإِذَا قُضِيَتِ

---

[1] – الإسراء : ١ .

[2] – ينظر : الأبنية الصرفية في السور المدنية(رسالة ماجستير) : ٥٩ والمهذب في علم التصريف : ٨٢ .

[3] – ينظر : شرح الشافية : ١٠٨/١ .

[4] –الحديد :١٣

الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ))[١]، فالفعل (انتشر) على وزن (افتعل) من الفعل (نشر) المبدوء بالنون فدلّ الفعلان على المطاوعة وانهما نائبان عن الصيغة (انفعل)، وقد تأتي للمطاوعة مع غير هذه الأفعال كما في قوله تعالى:((مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ))[٢] فإنما هو يجاذبون انفسهم نحو الهداية فيتطاوعوا وينقادوا لداعي الهداية فيكونوا مهتدين[٣] .

ويمكن أنْ يحمل على هذا المعنى أيضًا قوله تعالى:((وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ))[٤] وكأنهم ابدعوه فابتدعوها، أي: سولتها لهم أنفسهم واحدثوها من عند أنفسهم فتطاوعوا مع رغباتهم[٥] .

ب-دلالة التصيير : وهي بمعنى التحويل وقد جاءت في عدد من المواضع منها قوله تعالى ((وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا))[٦]، أي: "انت لو فعلت ما دعوك اليه" لصيروك خليلًا لهم بعد أنْ لم لم تكن كذلك فصيروه من منزلة إلى أخرى ومنه أيضًا قوله تعالى:((أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا))[٧]، بمعنى ان لاتصيروا غيري وكيلًا وتنزلوه منزلة لم تكن له .

ج-دلالة الاجتهاد والطلب : وهي هنا بمعنى الجد في طلب الأشياء وقد جاء في اكثر من موضعٍ لعلَّ من أوضحها ما جاء في قوله تعالى:((وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ))[٨]، أي" لتبتغوا فضلًا من ربكم اي :رزقًا حيث ان غالب تحصيل الارزاق وقضاء وقضاء الحوائج يكون في النهار" أي لتجتهدوا في طلب الرزق ، وقوله تعالى:((قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا))[٩]، بمعنى لاجتهدوا في طلب السبل السبل الموصلة إلى ذي العرش .

---

[١] -الجمعة:١٠

[٢] -- الإسراء :١٥

[٣] - ينظر : مجمع البيان : ٢٠٦/٦

[٤] - الحديد : ٢٧ .

[٥] - ينظر : البحر المحيط : ٢٢٦/٨ .

[٦] - الإسراء : ٧٣

[٧] - الإسراء : ٢ .

[٨] - الإسراء : ١٢ .

[٩] - الإسراء ٤٢ .

ومن هذا المعنى أيضًا قوله تعالى:((إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا))[١]، فأنّ الكلام كان في بيان الحاحهم على اتباع رجل لا يستحق الاتباع برأيهم فكأنّهم يصرون على السير بطريقة تظهر اجتهادهم على الرغم من العوارض .

د-الطلب : وهو الطلب من دون الحاح فكأنه طلب معتاد وهو هنا أشبه بصيغة (فَعَل) من الفعل ذاته ومن هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى:((انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ))[٢]، وكأنه يدل عن الفعل (نقبس)، ويمكن حمل قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ))[٣]، فالفعل هنا لأنه جاء على أصل الجذر اللُّغوي الدال على الاتقاء وإن كان المعنى الأقرب الى هذا؛ إذ جاء على معنى الاجتهاد في الطلب بدلالة قوله تعالى:((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ))[٤] .

ذ-الكون على صفة : وهي المجيء للدلالة على اتصاف الشيء بما جاء عليه الفعل ويمكن تلمس ذلك في قوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ))[٥]، فقد نفى كونهما متساويين أي: نفى أنْ يكونا على درجةٍ واحدةٍ متساويةٍ من الصفةِ بدليل أنَّه قال بعد هذا (أصحاب الجنة هم الفائزون)،" حيث ان اهل الجنة في نعيم وأهل النار في عذاب" .

س-تفعّل : تأتي هذه الصيغة لتأدية عدد من المعاني لعلَّ من أشهرها المطاوعة والاتخاذ والتجنب والتدرج[٦] وقد وردت هذه الصيغة في ثلاثة مواضع من السور المفتتحة بالتسبيح وسأحاول أنْ أضع اليد على هذه المعاني التي جاءت عليها .

ش-الاتخاذ : بأنْ تكون دلالة الفعل هي المتخذة كقولهم:(توسد التراب)، أي: اتخذه وسادة بمعنى جعله وسادة، وقد جاء ما يمكن حمله على هذا المعنى في قوله تعالى:((وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى))[٧]، فقد ورد الكلام في معرض الأمر بالذكرى ثم اردفها بوصف من لا يتذكر فقال (يتجنبها) بمعنى يتخذها جنبًا ولا يعمل بها[٨] ، ويمكن حمل قوله تعالى:((إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ

---

١ – الإسراء : ٤٧

٢ – الحديد : ١٣ .

٣ – الحديد : ٢٨ .

٤ – آل عمران : ١٠٢ .

٥ – الحشر : ٢٠ .

٦ – ينظر : شذا العرف في من الصرف : ٣١ .

٧ – الأعلى : ١١ .

٨ – ينظر : الكشاف : ٣٥٩/٦

أَولِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))[1]، بمعنى أجعلوها أمنية واعملوا على حصولها فـ(تمنوا) بمعنى اتخذوها أمنية ، والحقيقة أنها ليست منقطعة عن المعنى الأصلي في صيغة (تفعل) في المطاوعة فالفعل يحتمل معنى المطاوعة إلى جانب معنى الاتخاذ .

ص-التكلف في الجهد : وتؤدي هنا معنى أنْ يكون الفعل شاقًا فيتكلف الشخص حدوثه أصوات احتماله[2]، وقد جاءت صيغة (تفعل) على هذا المعنى في موضع واحد هو قوله تعالى: ((وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ))[3]، فقد دل (تربصتم) على تحمل ومجاهدة في الإنتظار، فلم يكن انتظارًا معتادًا وإنَّما كان فيه تحمل ومكابدة وحمل النفس على المشقة[4] .

ض-انفعل: أشهر معاني هذه الصيغة هو المطاوعة، وكأنّه يكون نتيجة لمجاذبة مع طرف آخر فيؤثر فيه ذلك الطرف فيستجيب له، ويكون مطاوعًا له[5]، ويمكن تلمس هذا المعنى في موضع واحد جاءت فيه صيغة (انفعل) في قوله تعالى:((وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا))[6] أي انهم سرعان مايتأثرون في اللهو والتجارة ويطاوعونها، لذلك تراهم ينفضون إليها إليها ويتركوا رسول الله قائمًا يخطب.

٢- **الفعل المزيد بثلاثة أحرف** : يأتي المزيد بثلاثة أحرف على أربعة أوزان هي (استفعل) كاستغفر و (افعوعل) كأخشوشن و (افعالّ) كأخضارّ و (افعولّ) كاعلوطّ[7].

ولم يرد من هذه الصيغ في السور المفتتحة بالتسبيح إلّا صدفة (استفعل) التي جاءت في أربعة مواضع سأحاول أنْ أقف على دلالاتها لأن هذه الصيغة على دلالات عدة أشهرها : المطاوعة والصيرورة والاعتقاد والاختصار وغيرها .

---

[1] – الجمعة : ٦ .

[2] – ينظر : المهذب : ٨٢ .

[3] – الحديد : ١٤ .

[4] – ينظر : فتح القدير : ١٤٥٧ .

[5] – ينظر : الأبنية الصرفية في السور المدنية : ٥٩ ، والمهذب : ٨١ .

[6] – الجمعة : ١١ .

[7] – ينظر : الأبنية الصرفية في السور المدنية : ٥١ .

أ-**الكون على صفة معينة** : وهي ما تكون فيه الصيغة دالة على اتصاف الشيء بصفته ولعلَّ هذا هو ما يمكن حمل قوله تعالى عليه:((فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))[١]، فقد أدى (استغنى) دلالة اتصاف الله سبحانه وتعالى بالترفع عن النقص والحاجة ومما يؤكد كون الصيغة قد جاءت للاتصاف هو ما جاء بعدها من كون الله "غني في ذاته محمود فيما فعل ،فما فعل بهم من أذاقتهم وبال امرهم وتعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم وتوليهم في غناه وعدله لأنه مقتضى عملهم المردود إليهم " .

ب-**المطاوعة** : وهي كمثل دلالتها في غيرها على الاستجابة لأثر الغير ولكنها هنا تمتاز بالتكثر لوجود زيادة في الصيغة ويمكن حمل قوله تعالى على هذا المعنى إذ يقول:((يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ))[٢]، فقد كانت استجابتهم مطاوعة لدعوتهم تعالى إياهم للخروج الى الحشر فيلبّون الدعوة.

ج-**التكثير في الطلب** : ويكون الطلب هنا على نحو الكثرة أمَّا كمًّا بتكرار الطلب وأمّا نوعًا بالمبالغة في الطلب، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:((وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ))[٣]، فالأمر بالاستفزاز إنَّما جاء ليفيد معنى المبالغة في (الفزّ) بمعنى أن يكونوا خفيفين ليخرجوا معه ولعل الذي يعضد هذا أنّ الأمر كان في معرض التحدي والإمهال للشيطان وكأنه يقول له بالغ وكثّر في استفزازهم ودعوتهم إلى الشر[٤]، وهو المعنى الذي يمكن حمل قوله تعالى عليه إذ يقول:((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[٥] فأنْ تقوى الله وصراعات النفس الأمارة بالسوء ليس بالأمر السهل لذلك اقتضى أنْ يكون استدعاء الإنسان بقدر المواجهة وهو المعنى نفسه الذي يحتمله (استطعت) في مقام الاستفزاز المذكور آنفًا .

وبعد هذا الاستعراض لمعاني صيغ الزوائد لابد لي من وضع تصورات كبرى حول الموضوع ويمكن اجمالها بالآتي :-

- كل ما جاء من زيادات أنَّما جيء به لطلب معانٍ أُخَر غير المعاني التي يأتي عليها الفعل الثلاثي من الفعل المزيد نفسه فكانت زيادة المباني دالة على زيادة في المعاني .

---

[١] - التغابن : ٦

[٢] - الإسراء : ٥٢ .

[٣] - الإسراء : ٦٤

[٤] - ينظر : مجمع البيان : ٦/٢٤٠ .

[٥] - التغابن : ١٦ .

- لا يمكن القطع بالدلالات التي تحملها صيغ الزوائد، وإنَّما هي قراءات في ضوء المقامات والسياقات لذلك كان بالإمكان حمل القراءة المعينة لدلالة صيغ الزوائد على دلالات أُخر يعضدها السياق وتخضع لطبيعة النص وثقافة المتلقي وغيرها .
- كل ما جاء من صيغ الزوائد كان دقيقًا في موضعه، ولم يكن لغيره من الصيغ أنْ يؤدي الدلالات نفسها في الموضع المذكور، وكان للسياق الفظي والمقامي أثرٌ واضحٌ في استعمال هذه الصيغ .

٢- اللزوم والتعدي

لا يخفى أنّ هذا الباب – اللزوم والتعدي – هو من أبواب النحو ومباحثه لكنني سأتعرض له من جهة تحول احدهما إلى الآخر بعد أن استعرض عددًا من الأمثلة للازم والمتعدي من السور المفتتحة بالتسبيح ثم لأقف على طبيعة هذه التحولات وأثرها في الدلالات .

أ- **الفعل اللازم** : هو الفعل لا يتعدى أثره الفاعل ولا يتجاوزه إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله[١]. ولهذا الفعل علامات في كتب الصرف أوصلها بعضهم إلى اثنتي عشرة علامة وفصل القول فيها[٢] .

وقد جاء الفعل اللازم في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح، ومنها مثلًا ((إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ))[٣] و ((ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى))[٤] وقوله تعالى ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى))[٥] و ((وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى))[٦] و ((تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٧] فالأفعال :(شاء / يموت / يحيى / أفلح / صلى) هي: أفعال لازمة :(شاء .

وقد يتحول اللازم إلى متعدٍّ ويتم له ذلك بثلاث طرائق هي الهمزة في أوله والتضعيف وحرف الجر .

وقد جاء هذا في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح منها قوله تعالى: ((لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ))[٨] فقد انتقل الفعل (فسد) من اللزوم إلى التعدي ومنه أيضًا قوله تعالى:((إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ))[٩]، ومنه قوله تعالى:((فَيُغْرِقَكُمْ

---

١ – ينظر : جامع الدروس العربية : ٣٤ .

٢ – ينظر : شرح التصريح : ٣٧/١

٣ – الأعلى : ٧

٤ – الأعلى : ١٣ .

٥ – الأعلى : ١٤

٦ – الأعلى : ١٥ .

٧ – التغابن : ٩

٨ – الإسراء : ٤

٩ – الإسراء : ٧٥ .

بِمَا كَفَرْتُمْ))[١] فالفعل اللازم (غرق) تحول من اللزوم إلى التعدي، ومنه قوله تعالى:((يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ))[٢] ومنه أيضًا ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَولِ الْحَشْرِ))[٣] ومنه أيضًا:((زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ))[٤] فالأفعال (يولج) و (أخرج) و (أزاغ) (أزاغ) تحولت من اللزوم إلى التعدي ، وغيرها كثير من الأفعال التي أدّى تغيّر الوزن الصرفي إلى تغيّر العمل الإعرابي .

وأما التضعيف فيكون بتشديد عين الفعل فينتقل الفعل فيها من اللزوم إلى التعدي ولعل من أمثلة ذلك ما ورد في السور المفتتحة بالتسبيح قوله تعالى ((وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ))[٥] و ((عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ))[٦] و ((لعذّبهم في الدنيا))[٧] و ((ويزكيّهم))[٨] و ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ رَبِّكَ الأعلى))[٩] فالأفعال (بشر/عجِل/ عذِب/زكى/سبح) هي أفعال لازمة صُيّرت متعدية بالتضعيف فلم تقف عند الفاعل بل تجاوزته إلى المفعول به بسبب التضعيف (بشّر/ عجّل / عذّب/زكّى/سبّح) .

وأما التعدية بالباء فقد جاءت في عدد من المواضع التي كان لابدَّ من ذكر المفعول به متصلًا بالباء وعدم الاكتفاء بالفاعل أو التوقف عند مثل قوله تعالى:((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ))[١٠]، وقوله تعالى:((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا))[١١]، وقوله تعالى:((ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا))[١٢]، وغيرها فالأفعال:(آمنوا/كفروا/قفينا) في ظاهرها أفعال لازمة لكنها صيرت إلى متعدية بالباء الذي لصق بالأسماء التي بعدها .

---

[١] – الإسراء : ٦٩ .

[٢] – الحديد : ٦

[٣] – الحشر : ٢ .

[٤] – الصف : ٥

[٥] – الإسراء : ٩

[٦] – الإسراء : ١٨

[٧] – الحشر : ٣ .

[٨] – الجمعة : ٢

[٩] – الأعلى : ١

[١٠] – التغابن : ٨ ، الحديد : ٧ ، ١٩ .

[١١] – التغابن : ١٠ .

[١٢] – الحديد : ٢٧ .

ب- الفعل المتعدي : وهو الفعل الذي يجاوز الفاعل إلى المفعول به بنفسه من غير واسطة كالهمز والتضعيف وغيرها فيكون الفعل محتاجًا إلى عنصرين هما فاعل يفعله ومفعول به يقع عليه[١] وأُطلق عليه تسميات متعددة بحسب الجهة المنور إليها فسمي المتعدي والواقع والمجاوز[٢]، وهو كثير في اللغة العربية بما لا يسع المقام للاستشهاد له، ويقسم على ثلاثة أقسام لأنّ منه ما يتعدى إلى مفعول به واحد ومنه ما يتعدى إلى مفعولين ومنه ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل .

والذي يهمنا هنا في المستوى الصرفي هو تحول المتعدي إلى لازم أو تحول المتعدي إلى مفعول به واحد إلى مفعولين أو تحول المتعدي إلى مفعولين إلى متعدًّ إلى ثلاثة مفاعيل لأثر البنية الصرفية في الانتقال بين التعدي واللزوم .

١- **الفعل المتعدي إلى مفعول به واحد** : تطرأ على هذا الفعل حالتان هما تحوله إلى لازم وتحوله إلى متعدٍ إلى مفعولين .

أما تحوله إلى لازم واكتفائه بالفاعل أو ما في حكمه فالغالب أنَّه يتم بطريقتين هما حذف المفعول وتناسيه مع التركيز على علاقة الفعل بفاعله أو تحويل الفعل المبني للمعلوم الى فعل مبني للمجهول ، وسأحاول أنْ أُلقي الضوء على هذين النوعين في السور المفتتحة بالتسبيح .

- حذف المفعول به وتناسيه والتركيز على علاقة الحدث بفاعله؛ لأنَّ هذه العلاقة هي المهمة من أجل إظهار اتصاف الفاعل بهذه الصفة من دون إعارة المفعول به الاهتمام لأنَّه غير مقصود في الكلام، وقد جاء هذا النوع بشكل ظاهر في مثل قوله تعالى:((الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى))[٣]، فالأفعال:[خلق/ سوّى/ قدّر/هدى] أفعال متعدية استغنت عن ذكر المفعول به باكتفائها بفاعلها حيث أنّ المقصود في هذه الأفعال هو كون الفاعل متصفًا بها فالمقصود هنا أنَّ الله" هو الذي انشأ خلقهم ثم سواهم فاكملهم .... وهو الذي قدر ارزاقهم واقوالهم وهداهم لمعاشهم " بمعنى أنّه كان خالقًا ومسوّيًا ومُقدّرًا وهاديًا .

---

[١] - ينظر : جامع الدروس العربية : ٢٥ .

[٢] - ينظر : أبنية الصرف : ٤١٩ .

[٣] - الأعلى : ٢-٣ .

ومنه أيضًا قوله تعالى:((وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا))[1] فالمقصود هنا أنّما هو السمع والطاعة والانفاق ولم يكن المقصود هو من يقع عليه السمع أو الطاعة أو الانفاق فكانَّه أراد أن يقول لهم كونوا سامعين ومطيعين ومنفقين .

ومنه قوله تعالى:((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا))[2]، فالمحبون عند الله هم المتصفون بالقتال في سبيله ولا يزولون عن اماكنهم، ومنه أيضًا قوله تعالى:((وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[3] فكونهم مجاهدين هو المطلوب من دون الالتفات لمن يجاهدونهم، ولعلَّ مرد ذلك قد يكون مفهوم فانَّهم إنّما يقاتلون ويجاهدون أعداء الله.

ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى:((لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[4] فالمقصود والمرتكز في قوله تعالى ((يحي ويميت)) أنما هو بيان قدرة الله على الإحياء والإماتة لذلك عقبّه بقوله ((وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) فكأنه في هذه الآية المباركة قصد إلى إثبات الملكية لله والقدرة على الإحياء والإماتة وإحاطة قدرته للأشياء كلها ، وامثله تحول المتعدي الى لازم والوقوف على الفاعل وعدم تجاوزه كثيرة في السور المفتتحة بالتسبيح بما لا يسع المقام لحصرها .

- **تحويل الفعل المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول**

تكاد الفكرة نفسها في تناسي أحد الركنين المتوجه إليهما الفعل المتعدي وهما الفاعل والمفعول به، ولكنه هنا سيعمد إلى تناسي الفاعل فيتحرك المفعول به ليحل محله ويأخذ علامته الإعرابية (الرفع) مما ينقله إلى موقع الإسناد مغادرًا موقع المفعولية الذي سيكون فارغًا ويتم ذلك بتحويل الفعل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول .

ومن أمثلة هذا السلوك اللُّغوي قوله تعالى:((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[5]، فالحقيقة أنهم أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم وضمير الجماعة في محل نصب مفعول به تحرك ليكون نائبًا عن الفاعل في الموقع الإعرابي وفي علاقة الاسناد حتّى يظهرهم وكأنهم خارجون بإرادتهم ومما يقوي ذلك قوله تعالى بعده ((يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

---

[1] – التغابن : ١٦ .

[2] – الصف : ٤ .

[3] – **الصف: ١١.**

[4] – الحديد : ٢ .

[5] – الحشر : ٨

وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))[1]، فقد أخبر عنهم بان خروجهم كان ابتغاءً لفضل الله، اي " يطلبون من الله رزقًا في الدنيا ورضوانًا في الأخرة وانهم ينصرونه ورسوله بأموالهم وأنفسهم" ومن يخرج على هذه الهيأة فإنَّه خارج عن قصد والمفعول به لايكون عن قصد فقد يقع عليه الفعل دون إرادته أو رضاه .

وليس ببعيد عن هذا الفهم قوله تعالى:((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ))[2]، فقد تحركت الصلاة لتحل محل الفاعل تاركة موقع المفعول به فارغًا فأصبح الفعل المتعدي (قضى) لازمًا بعد بنائه للمجهول (قُضي) لأن ما جاء بعدها من الأمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله وذكر الله كثيرًا أنَّما متعلقٌ بانقضاء الصلاة ولم يكن للفاعل حضور كبير في الآية لذلك استغنى عنه وحرّك المفعول به ليحل محلّه فيكون الفعل طالبًا للصلاة غير متجاوز إياها .

وأمَّا تصيير الفعل المتعدي إلى مفعول به واحد متعديًا إلى مفعولين فأنَّما يتم بالطرائق نفسها التي يُعدّى بها اللازم إلى المفعول به مثل: (الهمزة والتضعيف) والحقيقة أنَّه ورد في أربعة مواضع ثلاثة منها بالهمزة والآخر بالتضعيف .

أمَّا تعديته إلى مفعولين بالهمزة ففي قوله تعالى:((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا))[3] وقوله تعالى ((وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا))[4] وقوله تعالى ((إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا))[5] فالفعل (يُقرض/أقرضوا/تقرضوا) أصله الفعل (قرض) المتعدي إلى مفعول به واحد لكنه عدّاه إلى مفعولين بأن جعل وزنه الصرفي على (أفعَل) فكان للتحول في البنية الصرفية أثرٌ في الإعراب والدلالة .

وأمَّا تعديته إلى مفعولين بالتضعيف فقد جاءت في قوله تعالى:((وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))[6]، فالفعل (يُعلّم) جاء متعديًا إلى مفعولين بعد أن تم نقل صيغته الصرفية من (علّم) المتعدي إلى مفعولين .

---

[1] – الحشر : ٨

[2] – الجمعة : ١٠

[3] – الحديد : ١١ .

[4] – الحديد : ١٨ .

[5] – التغابن : ١٧ .

[6] – الجمعة : ٢ .

والنكتة الدلالية في هذا السلوك الكلامي أنَّما يكون لجعل المفعول الثاني مرتكزًا في الكلام لأن المقصود هنا هو تسليط الضوء على الشيء المعلِّم لا الشخص المعلَّم .

٢- الفعل المتعدي إلى مفعولين

ينقسم هذا الفعل على قسمين لأنَّ المفعولين إمَّا أنْ يكون اصلهما مبتدأً وخبرًا أو لايكون كذلك، وقد أفاض فيها اللُّغويون بما لا مجال للحديث فيه في هذا الموضع ولكن الذي يهمنا هو ما تحدثه البِنيةُ الصرفية من أثرِ الدلالةِ والإعرابِ .

أنَّ تغيير البِنية الصرفيَّة لهذا النوع من الأفعال المتعدية ينقله ليكون متعديًا إلى ثلاثة مفاعيل بالطرق المذكورة آنفًا في التعدية أو يكون متعديًا إلى مفعول به واحدٍ ولم يأتِ في السور المفتتحة بالتسبيح التغيير الأوّل. فلم ترد هذه الأفعال متعدية إلى ثلاثة مفاعيل لذلك سنقتصر الحديث هنا في ما يصير فيه إلى متعد إلى مفعول به واحد ولعلَّ من أشهر هذه الحالات هو بناء هذه الأفعال للمجهول، وقد ورد هذا البناء في ثلاثة مواضع هي ((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ))[١] وقوله تعالى:((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا))[٢]، فإذا كلا الفعلين [يُوقَ و حُملّوا] كانا في الأصل متعديين إلى مفعولين لكنهما اكتفيا بمفعول واحد بعد تغيير بنائهما من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول فيظهر أثر التغيير في الصيغة الصرفية على الدلالة والإعراب .

---

[١] – التغابن : ١٦ .

[٢] – الجمعة : ٥

الفصل الثاني

المستوى التركيبي

المبحث الأوّل: التقديم والتأخير:

أولًا: التقديم في الرتبة.

ثانيًا: التقديم بين الاشياء وترتيبها على نمط معين.

المبحث الثاني: الإيجاز والإطناب:

أولًا: الإيجاز.

ثانيًا: الإطناب.

المبحث الأوّل :- التقديم والتأخير

التقديم بين اللغة والاصطلاح

أمَّا في اللُّغة فأصلهُ مأخوذ من السَّبْق قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): ((القاف والدال والميم اصل صحيح يدل على سَبْقٍ ورعف ثم يُفرّع منه ما يقاربه))[١] وقال ابن منظور(ت٧١١هـ):((القدم والقدمة : السابقة في الأمر))[٢] ومن ثم فهو دائر في معاني السبق .

أمّا في الاصطلاح فأنَّه يقصد به تغيير مواقع الألفاظ ونقلها من أماكنها المرتبة فيها إلى مواضع جديدة ويرى اللُّغويون أنَّه يختصُّ بدراسة ((المراتب المحفوظة عند النجاة))[٣] فتتحرك الألفاظ مغادرة هذه التراتبية لتفيد معاني جديدة ما كان لها أن تفدها لو بقيت في مواضعها الأولى لذلك قالوا ((التقديم في اللسان تبعٌ للتقديم في الجنان))[٤] واشترطوا للتقديم أن يكون في خدمة المعنى ولا يغادر ساحة الوضوح؛ لأنَّه سيكون تعقيدًا وتضييعًا للمعنى وإبهامًا في الدلالات [٥]

والتقديم على مظهرين هما التقديم في الرتبة ويقصد منه تفحص ما حدث في التراكيب من خرق لنظام الرتبة بأنْ قُدِّم ماحقه التأخير، والتقديم بمعنى الترتيب بين المتعاطفات وتقديم بعضها على بعض مما لا علاقة له بقواعد النحو، وإنَّما يتعلق بفلسفة خاصة في إيراد

---

[١]- مقاييس اللغة (مادة قدم): ٥/ ٨٤٧.

[٢]- لسان العرب (مادة قدم) : ٦٤/١١ .

[٣]- البلاغة والاسلوبية : ٣٣٧.

[٤]- التبيان في علم البيان: ١٤٧ .

[٥]- ينظر : كتاب الصناعتين: ١٥٦، والعمدة: ٢٦٥/٢ ، ونهاية الايجاز :١٨١ ، ومفتاح العلوم: ٢٣١

المتعاطفات على هذا الشكل ومثاله إيراد لفظ (السموات) دائما مقدمة على لفظ (الأرض) وغيرها من هذه المظاهر .

وسأحاول أنْ أتفحص هذين المظهرين في السور المفتتحة بالتسبيح للوقوف على الدلالات المشتملة عليها والبعد الجمالي فيها في ضوء السياقات الواردة فيها والأغراض التي سبقت لها .

أوّلًا : التقديم في الرتبة

يقصد بهذا التقديم النحوي والتغيير في مواقع الألفاظ بنحو يغاير ما هو مقرر في كتب النحو العربي فيؤخر ما حقه التقديم ويقدم ما حقه التأخير مع الاحتفاظ بالإعراب نفسه فيقول سيبويه(ت١٨٠هـ):((فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل وذلك قولك (ضرب زيدًا عبدُ الله) لأنك إنما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدمًا ولم ترد أنْ تشغل الفعل بأوّل منه وان كان مؤخرًا في اللفظ))[١]، وينبغي أن لا يخفى أنّ التقديم والتأخير أنَّما يكون بحسب المعاني المقصودة وان ترتيب الألفاظ في الكلام يتبع ترتيب الأفكار في العقل وهو ذو أثر دلالي وجمالي فهو:((باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفتر لك عن بديعة ويقضي بك إلى لطيفه ، ولاتزال ترى شعرًا يروقك ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قدم فيه شيءٌ ، وحُوّل اللفظ من مكان إلى مكان))[٢] .

ويمكن تتبع التقديم والتأخير في السور المفتتحة بالتسبيح من خلال متابعة المتقدم إذ يمكن أن نُقسّمُ ذلك على ثلاثة أنواع رئيسة هي:(تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول به على الفعل وتقديم الفضلات على متعلقاتها) .

١-تقديم الخبر على المبتدأ

يتقدم الخبر على المبتدأ جوازًا أو وجوبًا لذلك سنحاول أنْ نضع اليد على هذين القسمين مع تفصيل أكثر في ما يتقدم جوازًا ٠ إذ لم ير النحويون والبلاغيون في تقديم الخبر وجوبًا مقاصد دلالية أو مزيات أسلوبية .

---

[١]- كتاب سيبويه: ٣٤/١ .

[٢]- دلائل الإعجاز : ٧٦ .

أ-تقديم الخبر على المبتدأ وجوبًا

يتقدم الخبر على المبتدأ وجوبًا في عدد من المواضع التي لابد فيها من تقدم الخبر وفصلت كتب النحو الكلام فيه [١] ومنها :

١-اذا كان المبتدأ نكرة غير مخصصة والخبر شبه جملة – قد جاء منه قوله تعالى:((فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ))[٢]وقوله تعالى:((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ))[٣] فقد جاء شبه الجملة ((منكم / من أزواجكم)) في محل رفع خبرًا مقدمًا لأنّ المبتدأ (كافر / مؤمن / عدواً) جاء نكرة لم تخصص، أي: لم توصف ، ولم تضاف .

٢- أنْ يكون الخبر من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط وقد جاء منه قوله تعالى (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ))[٤] فالخبر (متى) من ألفاظ الاستفهام التي يجب تصدرها الكلام .

٣- أنْ يكون الخبر مقصورًا – يتقدم الخبر هنا لأنّه المقصود بالحكم وقد جاء منه قوله تعالى:((فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))[٥]، فان قصر مهمة الرسول على البلاغ اقتضى تقديمه عملاً بالقاعدة النحوية .

٤- أنْ يكون في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر كقوله تعالى في غير السور المفتتحة بالتسبيح ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))[٦] لكننا لم نجد لها مثالًا في السور المفتتحة بالتسبيح فـ(أقفالها) مبتدأ، والـ(هاء) ضمير عائد على بعض الخبر المقدم وجوبًا(على قلوب).

٥- أنْ يكون الأسلوب اللغوي يقتضي التقديم كقولنا ((لله درك)) ولم نجد له مثالًا في السور المفتتحة بالتسبيح .

---

[١]- ينظر : النحو الوافي :٥٠١-٥٠٢ وجامع الدروس العربية : ٣٤٨ وبلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٢ / ٧٢ .

[٢]- التغابن : ٢

[٣]- التغابن : ١٤

[٤]- الإسراء : ٥١

[٥]- التغابن : ١٢

[٦]- محمد : ٢٤

ب- **تقديم الخبر على المبتدأ** جوازًا

نعني بها المواضع التي يكون فيها المتكلم مخيرًا بين التقديم والتأخير وهنا تكمن جوهر دراسة التقديم والتأخير لأن:((التقديم في اللسان تبع للتقديم في الجنان))[١]. وإنَّه أنَّما يُقدّم لأغراض متعددة(كالتخصيص والتعجب والتشويق والمدح والذم وغيرها)[٢]، ولكنه يمكن وضعه تحت مفهوم عام هو: (العناية والاهتمام) لذلك ترى سيبويه(ت١٨٠هـ) يقول:((يقدمون الذي بيانه اهمّ لهم وهم ببيانه أعنى))[٣] مع الحفاظ على قاعدة عامه تتمثل في أنْ يكون في خدمة المعنى لذلك يقول المبرد:(ت٢٨٦هـ) ((يصلح التقديم والتأخير اذا كان موضحًا عن المعنى))[٤] .

وسأحاول أنْ أضع اليد على عدد من التقديمات الجائزة الواردة في السور المفتتحة بالتسبيح لنقف على المقاصد الدلالية لهذا التقديم والتأخير .

١-تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة

تقدم هذا النوع من الخبر على المبتدأ في ستة مواضع هي:((لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ))[٥] ((لَهُ مُلْكُ السَّمَاواتِ))[٦]. و((وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ))[٧]. و((فلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى))[٨]. و((وَالشُّهَدَاءُ و((وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ))[٩]، ويلاحظ أنْ ثلاثة من هذه المواضع تتحدث عن حصر الملكية بالله سبحانه وتعالى؛ لأنَّها جاءت بعد لفظ التسبيح لئلا تدخل إلى الكلام شبهة النقص تجاهه سبحانه ويتوهم حاجته إلى ما سيدعوهم إليه فتعالى سبحانه عن كل نقص وحاجة بأنْ حصر الملكية به وحده فضلًا عما فيه من تصريح بأنْ ما تنفقونه أنَّما هو

١- التبيان في علم البيان : ١٤٧

٢- ينظر : اللباب في علل البناء والاعراب : ١٠٠

٣- كتاب سيبويه : ٣٤/١

٤- المقتضب : ٩٥/٣ - ٩٦

٥- التغابن : ١

٦- الحديد : ٢،٥

٧- التغابن : ٣

٨- الحشر : ٢٤ والإسراء : ١١٠

٩- الحديد : ١٩

واقع ضمن ملك الله سبحانه وما انتم إلاّ مستخلفين فيه وكأنه بحصره الملكية بالله قد نفى أيّ ملك لهم[١] .

أما التقديم في ((واليه المصير)) فقد كان في مقام إثبات تصرف الله وحده في الخلق ابتداء وانتهاء فبدأ الآية بـ((خلق السموات والأرض))وختمها بـ((إليه المصير)) ومن ثم فهي عائدة إليه وهو المتصرف فيها ومن ثم فهو منزه عن كل نقص في ذاته أو في صفاته، لأنَّه المتصرف الوحيد ولمّا كان كذلك فالحقيق به أن يتقدم [٢] .

وأما قوله تعالى:((له الأسماء الحسنى)) فقد ورد في معرض التفصيل في ذكر أسماء الله الحسنى بما يلائم مقام التنزيه وبيان القدرة ثم ليعطي لها حكمًا عامًا هو كون أسمائه كلها حسنى والمعروف في الفكر الإسلامي أنّ صفاته هي عين ذاته، ومن ثم فهو المتصف بالحسن ولايليق به إلاّ الحسن فانحصر وصفه بالحسنى دون غيرها حاشاه من غير ذلك فأقتضى التقديم لما يدل على تملكه لهذه الحسنى [٣] .

وأما قوله تعالى:((لهم أجرهم)) فقد جاء في معرض ذكر نعم الله سبحانه على المؤمنين وما سيؤول إليه أمرهم في يوم القيامة ولاسيما الشهداء فكأنّ لهم مكانهم المحدد بهم دون غيرهم فجعله كالملك لهم وقدمّه تعجيلًا لمسرتهم فأجرهم موجود كما أنّ لكلِّ إنسانٍ أجره يوم القيامة ولكنه أجر محدد معلوم يسرهم لذلك عجل المسرة لهم بتقديم الخبر على المبتدأ[٤].

٢- تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة المخصصة

يجوز تقديم الخبر على المبتدأ اذا كان المبتدأ نكرة مخصصة ولتخصيص النكرة طرائق كثيرة منها أنْ تأتي موصوفة ومنها أنْ تضاف إلى نكرة [٥] وقد جاءت النكرة مخصصة وتتقدم عليها خبرها في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح ولم يأت من صور التخصيص إلاّ مجيئ النكرة موصوفة وقد توزعت بين سياقات العذاب والأجر الحسن .

---

[١]- ينظر : فتح القدير : ١٤٩٦

[٢]- ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٧/٢٨

[٣]- ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩٢/٣.

[٤]- ينظر : الكشف والبيان :٢٤٤/٩.

[٥]- ينظر : النحو الوافي : ٣٢٠/١

أما سياقات العذاب فقد جاءت في موضعين هما ((وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[١] و((وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ))[٢]، أما وصف العذاب بأنَّه (اليم) فقد ورد في سياق تذكرهم بمال الذين كفروا ومعاقبتهم بالعذاب الأليم، وقد قدم الخبر (لهم) إشعارًا بأنْ هذا المصير نتيجة حتمية لكلِّ من يكفر، وكأنه ملاصق لهم حتّى صار كالملك لهم وكونه ملكًا لهم أو حالة ملاصقة أولى بالذكر من كونه أليما لذلك قدمه ليتعض به الناس فقد أظهره في صورة الملكية المنحصرة بهم[٣] .

وأمّا كون العذاب (شديدًا) فقد ورد في سياق الوعيد والتذكير بأن هذا الحطام زائل مشبهًا إياه بتحطيم النبات بعد أنْ كان يعجبهم، وانتقاله من الرونق والخضرة والنفع إلى الاصفرار والحطام أمرٌ يشعر الإنسان فيه بالخسران ولكنه خسران قليل، وإذا ما قيس بخسران الآخرة وعذابها ومن ثم تراه يرتفع بالعذاب إلى درجة الشدة في الآخرة وكأنه حصر الشدة في الآخرة لذلك قدم الجار والمجرور (في الآخرة) على المبتدأ (عذاب شديد)[٤] .

وأما الأجر فقد وصف بوصفين هما ((كريم)) و ((كبير)) إذ جاء في مقام الحث على الإنفاق قوله تعالى ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ))[٥] فليس للإقراض الحسن لله إلاّ الأجر الكريم في حالة من التملك أصوات التصرف بالأجر قاصرًا الأجر الكريم به وكأنه جزاء محدد سلفًا لمن يقرض الله قرضًا حسنًا فقدم الخبر شبه الجملة (له) على المبتدأ النكرة المخصصة ((أجرٌ كريم)) لتعجيل المسرة إليه في صورة تظهر وكأنه ملك له[٦] وليس ببعيد عن هذا الفهم ما يمكن أن يقال في تقديم الخبر شبه الجملة في قوله تعالى ((وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))[٧] فأجرهم محدد ومن ثم فهو يبشرهم به والبشارة مسرة لذلك عجل لهم بها بأن جعلها كالملك

---

[١]- التغابن : ٥

[٢]- الحديد : ٢٠

[٣]- ينظر : الواضح في التفسير : ١٤٩/١٦

[٤]- ينظر : الميزان : ١٧١/١٩ .

[٥]- الحديد : ١١

[٦]- ينظر : البحر المحيط :١٠٤/١٠.

[٧]- الإسراء : ٩

لهم[١] وثمة موضع آخر قدم فيه الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة المخصصة في وصف الحديد اذ قال ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ))[٢] فالبأس الشديد قد يوجد في أشياء أخرى ولكنه لما كان الصفة الأبرز فيه قدم كونها ((فيه)) ملائمًا لسياق الواردة فيه فكون البأس الشديد (فيه) هو المقصود بالكلام وليس البأس المجرد ومن ثم فقد قدمه اعتناءً به [٣] والمعنى نفسه يمكن سحبه على تقديم الخبر جوازًا في قوله تعالى ((بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ))[٤] ومن ثم يظهر لنا مما تقدم أن التقديم الخبر في مواضعها التي ذكرت آنفًا كلها لايخرج عن القاعدة التي حددها سيبويه في أنهم يقدمون الذين يهمهم ويعنيهم وهم ببيانه أعنى .

٢ –تقديم المفعول به

للمفعول به رتبة متأخرة عن الفعل والفاعل تقتضي بأنْ يأتي ذكره بعد ذكرها لأنه المقصود بمن وقع عليه تأثير فعل الفاعل ومن ثم فلا بد من ذكر الأثر (الفعل) والمؤثر (الفاعل) قبل أن يذكر من وقع عليه هذا الأثر [٥] .

إلاّ إنّ هذه التراتبية قد تُختَرقُ بانْ يتقدم المفعول به على الفاعل أو قد يتقدم على الفعل والفاعل معًا أمَّا تقديمه على الفاعل فلم اجد فيه مظهرًا أسلوبيًا إلاّ كون المفعول به ضميرًا متصلًا ومن ثم لابد له من فعل يتصل به لذلك قدم على الفاعل واتصل مباشرة بالفعل في عدد من المواضع أهمها:((فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا))[٦] و((ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ))[٧] و((أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ))[٨] و((ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ))[٩] و ((ويتجنبها الأشقى))[١٠] والحقيقة أن السمت اللغوي اقتضى أن يتقدم

---

[١]– ينظر : التحرير والتنوير : ٣٤/١٤

[٢]– الحديد :٢٥

[٣]– ينظر : المحرر الوجيز:٢٦٩/٥.

[٤]– الحديد : ١٣

[٥]– ينظر شرح ابن عقيل :١٦٥/١ وشرح الرضي :٣٣٧/١ .

[٦]– الحشر : ٢

[٧]– الحشر : ٧

[٨]– التغابن : ٥

[٩]– التغابن : ٦

[١٠]– الاعلى : ١١

المفعول به لكونه ضميرًا متصلًا ، ولم يرد المفعول به مقدمًا على فاعله في غير هذه الصورة إلاّ في موضع واحد هو قوله تعالى ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)) [١] ويظهر فيه الإعجاب متوجه إلى الكفار وكأنه اعتنى بذكر (الكفار) فقدّمه على الفاعل لانّ إعجاب تقديم الكفار به أليق بالمقام من تقديم الفاعل؛ لأنَّه كان في موضع بيان اعتزازهم بنعيم الدنيا الزائل والاغترار بالنعيم أنّما يكون لانهم كفار، ليس لأن النبات مُعجِب بذاته[٢] .

وأما تقديمه على الفعل والفاعل معًا فانّ له حكمين فقد يكون التقديم جائزًا وقد يكون واجبًا وسأحاول أنْ اقف على هذين النوعين في السور المفتتحة بالتسبيح لنقف على الأسباب والدلالات .

أما التقديم الواجب فقد ورد في موضعين جمعها باب الألفاظ التي لها الصدارة ممثلةً بأسماء الشرط الجازمة في قوله تعالى:((وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ))[٣] وقوله تعالى:((أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى))[٤] فقدم قدم المفعولان المفعولان بهما (مَنْ) و (أيًّا) وهما من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام وقد أفاد التقديم بهما معنى الشمول والعموم[٥] إذ يندرج تحت الهداية كل من أنعم الله بها عليه ويندرج تحت فقدان الولاية من دون الله كّل من كان ضالًا ويصح الدعاء بأيّ اسم من أسماء الله الحسنى.

وأما التقديم الجائز للمفعول به على فعله فقد ورد في موضعين قصد فيها إلى معنى الشمول واندراج لفظ الشمول تحت تأثير الفعل الذي يليه وهذان الموضعان هما قوله تعالى: ((كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ))[٦] وقوله تعالى:((وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى))[٧] فقد كان الكلام في سورة الإسراء دائراً في انقسام الناس إلى ساعٍ نحو الدنيا وخيراتها وساعٍ نحو الآخرة وفوزها ولئلا تدخل إلى النص شبهة أنّ عطاء الله مختص بإحدى الطائفتين قدم

---

[١]- الحديد : ٢٠

[٢]- ينظر : البحر المحيط : ١١٠/١٠.

[٣]- الإسراء :٩٧

[٤]- الإسراء :١١٠

[٥]- ينظر : مفتاح العلوم :٩٣ والايضاح ٥٣ ، والبرهان في علوم القران :٢٤٠/٣

[٦]- الإسراء : ٢٠

[٧]- الحديد : ١٠

النص المفعول به (كلًا) ليعطي معنى الشمول وليدخل في عطاء الله كلتا الطائفتين[١]، وليس الأمر بعيد عن هذا في ما جاء في سورة الحديد لأنّ المقام كان مقام تفضيل لمن انفق من قبل الفتح وقاتل على من انفق من بعد الفتح وقاتل ولئلا يذهب الظن إلى حرمان الفئة المفضولة من عطاء الله وجزائه جاء المفعول به مقدمًا (كلاً) ليحتاط بأن الطائفتين مشمولتان بوعد الله بالحسنى وإن كانت احدهما أفضل من الأخرى ومن ثم فقد أفاد التقديم معنى العموم والشمول[٢] .

٣-تقديم المتعلقات (الفضلات)

يقصد بالفضلات كل ما هو خارج ركني الإسناد وهذه الفضلات أجزاء غير محسومة المراتب لذلك قد تقدم وتؤخر بحسب السياقات الواردة فيها ولم نجد من الفضلات مقدمًا إلاّ ثلاثة هي :

أ-الظرف وقد قدم جوازًا على الخبر في قوله تعالى:((بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٣] وكأنه عجل اليهم بالبشرى وجعل البشرى الحقيقة مقصورة على هذا اليوم فقدّمه لأنّه بؤرة الدلالة هنا فاعتنى به [٤] .

ب- الحال : قدم الحال وجوبًا في موضعين لأنّه من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام في قوله تعالى ((انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ))[٥] وقوله تعالى:((انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا))[٦] فكلا اللفظين المقدمين (كيف) في النصين المتقدمين يعربان حالًا مقدمًا ، وقدّم لأنه من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام [٧] .

١- تقديم الجار والمجرور: يعد تقديم الجار والمجرور مظهرًا أسلوبيًا واضحًا في السور المفتتحة بالتسبيح فقد قدم في اكثر من ستين موضعًا سأحاول أن أصنفها بحسب ماقدمت عليه في نوعي الجملة الرئيسين (الاسمية والفعلية) .

---

[١]- ينظر : نظم الدرر:١١/٣٩٧.

[٢]- ينظر : البحر المحيط :١٠/١٠٣.

[٣]- الحديد : ١٢

[٤]- ينظر : جامع البيان : ٢٢/١٨٠.

[٥]- الإسراء : ٢١

[٦]- الإسراء : ٤٨

[٧]- ينظر : شرح الاشموني:٢/١٤-١٥

أ-تقديم الجار والمجرور في الجملة الاسمية:

قدم الجار والمجرور في الجملة الاسمية على الخبر في خمسة عشر موضعًا توزعت بواقع . ثمانية تقديمات على الخبر وخمسة تقديمات على خبر كان وتقديمين على خبر إنّ ويلاحظ أنّ هذه التقديمات جاء في سياق الحديث في صفات الله سبحانه وتعالى كالقدرة:((وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[١] و:((وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٢] والخبرة:((وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))[٣] والبصيرة:((وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[٤]، ((إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا))[٥] والعلم ((وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٦] ((وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٧] والرأفة والرحمة ((وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ))[٨] و:((إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا))[٩] والمغفرة ((فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوابِينَ غَفُورًا))[١٠] فضلًا عما له له علاقة بقدرة الله سبحانه ولم يذكر القدرة صراحة وانما ذكر كونها يسيرة عليه كقوله تعالى ((وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ))[١١] و:((إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ))[١٢] ولم تأتِ في مقام آخر إلاّ في موضعين ذمّ فيهما الشيطان وعداوته للإنسان وكفره بربه حيث قال:((وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا))[١٣] وقال:((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا))[١٤] .

---

[١]- التغابن : ١، الحديد: ٢.

[٢]- الحشر : ٦

[٣]- التغابن : ٨ ، الحديد ١٠

[٤]- التغابن : ٢ ، الحديد ٤

[٥]- الإسراء : ٣٠

[٦]- التغابن :١١

[٧]- الحديد :٣

[٨]- الحديد : ٩

[٩]- الإسراء : ٦٦

[١٠]- الإسراء :٢٥

[١١]- التغابن : ٧

[١٢]- الحديد : ٢٢

[١٣]- الإسراء : ٢٧

[١٤]- الإسراء : ٥٣

والملاحظ في التقديمات المذكورة آنفًا أنّها جاءت ملائمة للسياقات الواردة فيها فقد جاءت في سياقات القدرة عندما كان الأمر متعلقًا بتصرف الله المطلق بالأشياء وعدم خروج شيء على هذه القدرة فخصصة بـ(على كل شيء) وقدمه عليه لأنّه هو محل الكلام والاستغراب فدفع بذلك استغرابهم، وجاءت التقديمات في سياقات العلم والبصيرة والخبرة عندما كان الحديث في ما لا تدركه عقولهم ولاسيما في الأخبار بالغيب أو عندما تكون العلل غير ظاهرة، وجاءت في سياقات المغفرة والرحمة عند تحفيز الناس على فعل الخيرات ولاسيما الإنفاق في سبيل الله، وفي سياقات الحديث في ما سيكون عليه الأمر في اليوم الآخر.

وهذه التقديمات كلها لا تخرج عن المرتكز الأساس في التقديم والتأخير من كونه متجهًا ماهو أعنى للمتكلم وهو قاصد إلى تسليط الضوء عليه .

ب- التقديم في الجملة الفعلية:

للجار والمجرور حرية كبيرة في التحرك موقعيًّا في الجملة الفعلية فلا يوجد موقع لا يمكن تواجده فيه فقد يتقدم على الفعل نفسه وقد يتقدم على الفاعل وقد يتقدم على المفعول وقد يتقدم على الحال والتمييز وغيرها في حرية واسعة لا يحكمها إلاّ الوضوح وأمن اللبس وتأديتها معنى جديدًا من خلال موقعها الجديد .

١- تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

قَدّم الجار والمجرور على الفاعل في تسعة مواضع جاءت خمسة منها في افتتاحيات السور اذ قال تعالى:((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الْأَرْضِ))[١] وقال تعالى:((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الْأَرْضِ...))[٢] وجاءت في موضعين مع ذكر الجنات إذ قال: ((تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٣]، وجاءت مرة واحدة متقدمة في حث المؤمنين على الخشوع لذكر الله :((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ))[٤] وجاءت متقدمة على فاعل الفعل التام (كان) في قوله تعالى:((لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ))[٥] .

---

[١]- الحديد :١ الحشر :١، الصف :١

[٢]- الجمعة : ١ ، التغابن ١

[٣]- التغابن : ٩ ، الصف : ١٢

[٤]- الحديد : ١٦

[٥]- الإسراء : ٤٢

والملاحظ أنه قصر التسبيح على الله سبحانه وتعالى بتقديمة الجار والمجرور ((لله)) وكأنه جعل التسبيح عائدًا عليه على نحو قريب من الملكية فأفاد التقديم هنا تخصيصه بالتسبيح دون غيره[١]، أمَّا في مقام حث المؤمنين على الخشوع فقد جاء التقديم في سياق الاستفهام الإنكاري من تأخر خشوعهم وهم المتصفون بالإيمان فقد كان الاستغراب بلحاظ أنهم مؤمنون لذلك قدمه اعتناءً به وتذكيرًا لهم بواجباتهم وما ينبغي أنْ يكونوا عليه من الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق .

وليس الأمر ببعيد عن تصور سبب التقدم في سياق نفي وجود الهه مع الله لأن وجود أكثر من إله متصرف لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا فلما لم يكن ذلك دلّ على انه لا اله معه ولأن المقام مقام توحيد فان الكلام سيكون في حدود نفي الشرك واشتراك غيره في إدارة الأمور لذلك كانت كلمة (معه) هي قطب الرحى في هذا السياق والمتجه إليها بالنفي ومن ثم كان تقديمها اليق بالمقام .

٢- تقديم الجار والمجرور على المفعولات

المفعولات أربعه (مطلق وبه وفيه ولأجله)

ولم يرد في السور المفتتحة بالتسبيح إلاّ تقديمه على المفعول به فقد ورد مقدمًا عليه في اكثر من عشرين موضعًا لم يجمعها رابط معين يمكن تصنيفها تحته فقد جاءت في سياق تكفير الذنوب:((يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ))[٢] والتنزيل:((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ))[٣] والبعثة:((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ))[٤] وبيان الآيات:((قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))[٥] وغيرها من المواضع التي قدم فيها الجار والمجرور على المفعول به لحصر الفعل في جهة معينة[٦]، ولعلَّ الملاحظة الدقيقة تظهر لنا القيمة الدلالية لتقديم الجار والمجرور على المفعول به ففي قوله تعالى:((يكفر عنه سيئاته)) أي:((من وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته)) حيثُ يظهر لنا أنَّ السيئات كانت هماً

---

[١]- ينظر : نظم الدرر : ٥٠١/٧

[٢]-التغابن : ٩

[٣]- الحديد :٩

[٤]- الجمعة : ٢

[٥]- الحديد : ١٧

[٦]- ينظر : الحديد ٢٢،٢٨ والإسراء : ٦، ١٠ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ وغيرها

شاغلًا لتفكيره لذلك فأن تكفيرها عنه غنيمة وسعادة ومن ثم فأنَّ تكفيرها عنه أقوى في الدلالة من مجرد تكفيرها فقد أزاح بالتقديم همًا ثقيلًا عن نفسه وأمَّا قوله:((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)) فأن بؤرة النص كانت أن يبعث (في الأميين) رسولًا وهو ما حاول اليهود دفعه وتكذيبه والادعاء بأن الأنبياء منهم فجاء بـ(في الأميين) مقدما ليدفع تخرصاتهم ويفقد ادعاءاتهم ، وأما قوله تعالى:((قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ)) فلم يكن تبين الآيات مقصودًا في الكلام وإنما كونه لهم هو المقصود لأنه الله لا يحتاج إلى تبيين فهو العليم فلما كان الأمر كذلك اقتضى المقام تقديم (لكم) ليكون دلالة حصر ولاسيما انه اتبعه بالقول ((لعلكم تعقلون)) فدل على أن كونه (لهم) هو المقصود لذلك قدمه .

٣- تقديم الجار والمجرور على الفضلات

قدم الجار والمجرور على الحال والتمييز في أربعة مواضع بواقع موضعين لكل فضلة فقد قدّمه على الحال في قوله تعالى:((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا))[١] وقوله:((أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا))[٢] وقدمه على التمييز في قوله تعالى:((كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا))[٣] وقوله:((وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا))[٤] فالملاحظ أنّ التقديمات التقديمات المذكورة آنفًا كلها جاءت في سورة الإسراء في مقامي النفي ((ما أرسلناك)) والنفي الضمني ((تسقط السماء كما زعمت)) ومقام التعجب في تعبير (كفى) ، أما النفي فلم يكن موجهًا إلى كونه وكيلًا أي ((ماجعلناك كفيلًا لهم تؤخذ بهم)) أو إلى أسقاط السماء ولكنه كان موجهًا إلى أن يكون (كفيلًا عليهم) أو(يسقط السماء عليهم) ولما كان الجار والمجرور هو المتوجه إليه بالحديث والمقصود فيه فقد قدمه لأهميته، وأما موقف الاستعظام والتعجب في قوله ((كفى)) فقد موجهًا نحو أن يكون الإنسان حسيبًا على نفسه وان يكون الرب خبيرًا بصيرًا بالذنوب وكثير منها مما لا يرى وقد يعجل في الخلوات فأنْ يكون عليك حسيب فذلك أمر قد يقبل ولكن أن تكون أنت الحسيب على نفسك فهذا مما يستغرب له ذلك قدّمه اعتناءً به ، وكذلك فان علم الله وخبرته بالأشياء مما لا يثير استغرابًا كثيرًا ولكن علمه بالذنوب وهي

---

[١]- الإسراء : ٥٤

[٢]- الإسراء : ٩٢

[٣]- الإسراء ١٤

[٤]- الإسراء : ١٧

مما قد لا يرى فهذا أمر يثير الاستغراب بل هو محل الاستغراب لذلك قدّمه بوصفه ركنًا اساسيًا ومقصدًا رئيسًا في الكلام[١] .

ثانيا : التقديم بين الأشياء وترتيبها على نمط معين

نقصد بهذا ما جاء فيه الألفاظ مرتبة ترتيبًا متتاليًا وليس لهذا علاقة بقواعد اللغة وإنما يرتبط بمقاصد دلالية اقتضت أن ترتب أجزاء النص ولاسيما المتعاطفات داخل النص فقد رُتِبَت كلها بحسب السياقات الواردة فيها وبحسب فلسفات تقتضي أن ترتب على هذا الشكل وسأحاول أن أتعرض لما ورد منها في السور المفتتحة بالتسبيح مقسمة إياها على قسمين يتعلق الأوّل منها بما ورد من ترتيب أسماء الله الحسنى ويتعلق الثاني بما ورد في غير ذلك.

١ – ترتيب أسماء الله الحسنى

أنَّ المتفحص للنص القرآني عامة والسور المفتتحة بالتسبيح يجد أنَّ أسماء الله الحسنى قد رُتِبَت بشكل يدعو إلى التساؤل فقد قدمت بعض الأسماء على بعض وجاءت متتابعة بشكل لم يأت ترتيب معاكس له مثل:((العزيز الحكيم)) و:((رؤوف رحيم)) و:((سميع بصير)) و:((خبير بصير)) ولم يَأتِ هذا الترتيب معكوسًا وسأحاول أن أتلمس العلة في هذا الترتيب بحسب السياقات الواردة فيها .

ورد قوله تعالى:((العزيز الحكيم)) في ستة مواضع[٢] والملاحظ فيها أنّها جميعها جاءت في الآيات الأوائل من السور التي جاءت فيها مما يعزز لدينا القناعة بوجود علاقة وثيقة بين هذين الاسمين الحسنيين والمعنى العام للسورة وان ترتيبها على هذا الشكل أنّما جاء بلحاظ المعنى المراد إيصاله .

أما في الحديد فقد جاءت بعد الإخبار عن تسبيح ما في السموات وما في الأرض له وما يدل عليه من انتقادهم له وانه لا قدرة لشيء على الانفكاك عنه وأنّ له كل كمال جاء بقوله

---

[١]– ينظر : التحرير والتنوير : ١٤/٤٠ – ٤٧ – ١٠٧ – ١٦٤ .

[٢]– الحديد : ١ ، الحشر ١ ، الصف : ١ ، الجمعة : ١، ٣ ، التغابن : ١

(العزيز) الذي يعني انه يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ثم اردفه بقوله (الحكيم) الذي أتقن كل شيء خلقه ولاشك أنَّ القدرة الموجودة في (العزيز) سابقة على حسن الصنع الموجودة في (الحكيم) إذ لا صُنع أصلًا من دون قدرة ولابد للصانع من أن تكون له قدرة (عزيز) ومن ثم تراه رتب الألفاظ على وجود القدرة (العزيز) ثم أردفها لحسن الصنع (الحكيم)[١] .

وليس الأمر ببعيد عن هذا أيضًا في المواضع الأخرى التي جاء فيها فكلها قد جاءت بعد أن ذكر تسبيح الموجودات كلها لله وما فيها من دلائل عظيمة وانقيادها له والانقياد يستعجب معنيين رئيسين هما القدرة والغلبة (العزيز) ونفاذ العلم وإتقان الصنع ولاشك انهما معنيان متراتبان على النحو الذي القران الكريم محاكيًا له في ترتيب الاسمين على هذا الشكل أما قوله ((السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) فقد ورد في سورة الإسراء قوله تعالى في الآية الأولى:((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))[٢] فانه لما كان الإخبار في الآية عن الغيبيات وانه قصر إعلامهم به (العلم) كان لابد من المرور بما يعول عليه في ادراك العلم من حسن السمع والبصر وقد اثبت العلم الحديث أن إله السمع (الأذن) تتكون قبل آلة البصر (العين) وان الأذن تنضج وتصبح قادرة على السمع في الشهر الخامس بينما لا تتطور ولا تفتح العين إلّا في الشهر السابع وان الطفل يستطيع السماع بشكل متكامل قبل النظر المتكامل فضلًا عن مركز السمع يتقدم على مركز الإبصار في مخ الإنسان ومن ثم فأن تقديم السمع على البصر في القران الكريم متناسب مع التقديم المكاني لمركز السمع [٣] .

وقيل في ذلك آراء كثيرة منها أنه السمع هي الآلة الأكثر في تلقي الوحي لأنْ الوحي أنّما يتلقى سماعًا لأنه يتضمن تبليغ رسالات الله سبحانه وتعالى . فضلًا عن أن السمع يمكن الإفادة منه في الجهات كلها أما النظر فلا يكون إلاّ إلى جهة واحدة [٤] .

وأمَّا قوله تعالى:((خَبِيرًا بَصِيرًا))[٥] فقد جاءت في سياقين مختلفين إذ جاءت في الآية الثلاثين في سياق بسط الرزق وتقديره وجاءت في الآية السادسة والتسعين في سياق شهادة

---

[١]- ينظر : نظم الدرر : ٤٣٣/٧

[٢]- الإسراء : ١

[٣]- ينظر : اعجاز قراني في تقديم السمع على البصر

[٤]- ينظر : التحرير والتنوير : ١٨/١٤ ، وتفسير روح المعاني : ١٥/٦

[٥]- الإسراء : ٣٠، ٩٦

الله سبحانه وتعالى لكن الجامع بين السياقين انهما جاءا يتحدثان في ماله علاقة بعلمه وتدبيره الذي يتعلق بأمور غير مرئية ومن ثم كان المجيء بالخبرة والبصيرة ليطمئن المتلقي على صدق ما ينقل إليه وليبعد النقص عنه سبحانه وتعالى وقد ذكر الخبرة مقدمة على البصيرة لأن الخبرة تتعلق بالعلم بدقائق الأشياء على ماهي عليها ولا يخفى عليه شيء ويحيط بالأمور كلها المشاهدة وغير المشاهدة أما البصيرة فأنها تدل في هذا الموضع على المشاهدة ومن ثم فالخبرة أوسع مجالًا لذلك قدمها فضلًا عن أن الخبرة بالأشياء تحدث أحيانًا قبل حدوث الأشياء مع خبرته بها في حدوثها أمّا البصيرة فلا تحدث إلا بعد حدوثها فكأنها أوسع منها وأقدم[١] .

وأما قوله تعالى ((رَءُوفٌ رَحِيمٌ))[٢] فقد جاءت في سياق رحمة الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور في سورة الحديد وفي سياق دعاء المؤمنين بالمغفرة لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وكلا الموضعين من مواضع الرأفة والرحمة . والعلة في تقديم الرأفة على الرحمة إن الرأفة تكون في دفع المكروه والرحمة تكون في إيصال الخير بمعنى أن الرأفة تكون في (السلامة) والرحمة في (الغنيمة) فهما في دفع المفسدة وجلب المصلحة ولاشك أنَّ دفع المفسدة مقدم على استجلاب المصلحة [٣] وان كان قد قيل فيهما أنّ الرأفة أشد من الرحمة فاذا اشتدت الرحمة كانت رأفة ومن ثم فقد رتبها من الأشد إلى ما دونه في الشدة [٤] .

وأما في قوله تعالى ((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ))[٥] وقد جاءت في سياق تعداد أسماء الله وعلمه فتدرج من الغيب إلى الشهادة لأن علم الغيب أظهر في الدلالة على الألوهية من الشهادة والحقيقة انه ذكرهما معًا دفعًا لكل ما قد يعتري النص من شبهة النقص يعلمه لجهة دون أخرى فذكرهما معا للتدليل على أنّ علمه قام في كل الجهات ولكنه قدم (الغيب) على

---

[١]- ينظر : التحرير والتنوير : ٨٦/١٤ و ٢١٤ .

[٢]- الحديد ٩ ، الحشر ١٠

[٣]- ينظر : الصحاح : ١٣٦٢/٤ ، مجاز القران : ٥٩/١

[٤]- ينظر : الواضح في التفسير : ٣٩١/١٥

[٥]- الحشر : ٢٢ ، الجمعة ٨ ، التغابن ١٨

(الشهادة) لأنه الأوسع واللامرئي والألصق ببيان القدرة والعلم واعجازهم عن أدراكه لأنه لا يمكن أدراكه لتعاليه عن الحارة فضلًا عن أنّ الغيب أقدم من الشهادة في الخلق[١] .

فقد ظهر لنا مما تقدم أن الترتيب بين أسماء الله الحسنى في الذكر أنَّما هو بحسب غايات ومقاصد تلائم السياق وتعقد المعنى وتحتاط عما قد يدخل إلى النصّ من شبهة فكان ذكرها على الشكل الذي جاءت عليه فيمثل مظهرًا إعجازيًا واضحًا لا يمكن للإنسان أن يأتي بمثله .

١- ترتيب المتعاطفات في غير أسماء الله الحسنى

جاء العطف في القران الكريم حاملًا دلالات متعددة إلى جانب الدلالة الأصلية لأحرف العطف من الجمع أو الترتيب أو الإضراب أو غيرها فقد رتبت المتعاطفات ترتيبًا دقيقًا أظهر الجانب المعجز في هذا القران المجيد وكان للسور المفتتحة بالتسبيح نصيب من هذا الترتيب التعاطفي الذي ملائمًا للسياق خادمًا للمعنى وسأحاول أنْ اقف على عدد من هذه المتعاطفات وطبيعة ترتيبها فيها لأن ما جاء منها كثير .

أ-ترتيب الأشخاص

جاء هذا الترتيب ممثلا في موضعين هما:((صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى))[٢] و:((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ))[٣] ولعل العلة في ذلك واضحة فإبراهيم متقدم زمنًا على موسى ونوح متقدم زمنًا على إبراهيم ومن ثم ذكرها على هذا الوجه من الترتيب ولو قرأنا ترتيب الإعلام في السورتين لكان الاتي (نوح / إبراهيم /موسى) فكان ترتيب ذكرها في السورتين ملائما لترتيبهم الزمني [٤] .

ويمكن أنْ يدخل في الاشخاص قوله تعالى:((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ))[٥] فقد فقد قدم الأزواج في العداوة على الأولاد لما في الرابطة النسبية من قوة تضعف العداء بين الأب وأبنه لذلك أخرها وأضعف قوتها في مقابل عداوة الزوجات لأزواجهن لما بينهما من

---

[١]- ينظر : الكشف والبيان : ١٦١/٦ .

[٢]- الأعلى : ١٩

[٣]- الحديد : ٢٦

[٤]- ينظر : البرهان في علوم القران ٢٣٨/٣ والطراز ٥٦/٢

[٥]- التغابن : ١٤

رابطة غير دائميه تنتهي بالموت أو الطلاق أو غيرها فكانت عداوة الزوجة لزوجها اقوى من عداوة الابن لأبويه لذلك قدمها لأنها الأقوى [١] .

ومنه أيضًا ما يمكن تلمسه في قوله تعالى:((مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ....))[٢] فقد رتب الذوات ترتيبًا دقيقًا إذ قدّم لفظ الجلالة لأنه الأعلى والأسمى وحقه مقدم على غيره فضلًا عن انفصاله عما سيأتي من ذوات لأنهم جميعًا يندرجون تحت كونهم (بشرًا) حتى إذا جاء إلى البشر بدأ بأشرفهم وهو رسول الله (ص) ثم رتب الذوات الأخرى ترتيباً دقيقاً فانه لما ذكر نفسه تعظيمًا استمر في مسألة التعظيم فذكر رسوله وعظم قرابته فقدمهم، ثم انتقل إلى دائرة أخرى في المفاضلة إذ اعتمد مبدأ الضعف فبدأ بالأضعف وهو (اليتامى) وعطف عليه (المساكين) فانهم في الضعف على إثرهم، ثم ليذكر من يكون ضعفه مؤقتًا كابن السبيل الذي انقطع عن وطنه فجاءت الذوات مرتبة أوّلًا بحسب التعظيم في الحقوق (الله / الرسول /قرابة الرسول) ثم بحسب قوة الضعف من الأضعف إلى الأقل ضعفًا (اليتامى / المساكين / ابن السبيل)[٣] وهو المعنى نفسه الذي حصل لأجله التقديم في قوله تعالى:((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ))[٤] .

والحقيقة أن مبدأ تعظيم الحقوق وأثره في الترتيب كان حاضرًا في عدد من المواضع منها تقديم طاعة رسوله في قوله تعالى ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ))[٥] فحق الله معظم ومقدم على ما سواه وطاعته مقدمة على طاعة رسوله لأنّها منبثقة منها ومتفرعة عنها .

ب- ترتيب الأشياء

رتبت الأشياء في السور المفتتحة بالتسبيح على نمط يوحي بتراتبية مقصودة وسأحاول أن أتعرض لعدد من الترتيبات موضحة المقاصد الدلالية لهذه الترتيبات وما أدت من أبعاد دلالية .

١- السموات والأرض

---

[١]- ينظر : المحرر الوجيز :٥/٣٢٠.

[٢]- الحشر :٧

[٣]- ينظر : نظم الدرر : ٧/٥٢١ – ٥٢٢ .

[٤]- التغابن : ١٢

[٥]- الإسراء : ٢٦

جاءت لفظتا السموات والأرض في هذا الشكل من الترتيب ولم تكسر هذه التراتبية في أي: موضع وردت فيه:((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[١] و:((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ))[٢] ((لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[٣] و:((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ))[٤] ((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ))[٥] و:((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ))[٦] و:((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ))[٧] فقد جاءت السموات مقدمة على الأرض في سياقات التسبيح والخلق والملكية وعلة التقديم أنّ السموات أوسع وأعظم ولّما كان المقام مقام تسبيح والتسبيح تعظيم فان ذكر المعظم أوّلًا أليق وكذلك الخلق فانه لما كان لبيان قدرة الله فانّ خلق السموات بكل ما فيها من إجرام ونجوم ومواقع ادل على قدرة الله من ذكر خلق الأرض لذلك قدّمه وكذلك ما جاء منه في مقام بيان الملكية فأنّ السماء المترامية المتعددة الموجودات أظهر في الملكية من الأرض لذلك قدمها عليها[٨] .

٢-الليل والنهار

لم يرد هذا العطف ((الليل والنهار)) في القران الكريم إلاّ بتقديم (الليل) على (النهار) إلاّ في مواضع محددة ليس للمقام مقام تفضيل فيها وقد جاء في السور المفتتحة بالتسبيح في أكثر من موضع منها:((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ))[٩] لان الأصل هو الظلمة ولاسيما ما يتعلق بمسألة الخلق فأنه تعالى أخرج الوجود من العدم (الظلمة) إلى العلن فكانت الظلمة (من ملازمات الليل) أسبق في الوجود[١٠] .

٣-اللهو والتجارة

---

[١]- الحديد : ١

[٢]- الحديد : ٤

[٣]- الحديد : ٥

[٤]- الحشر : ١

[٥]- الجمعة : ١

[٦]- التغابن : ١

[٧]-التغابن : ٣

[٨]- ينظر : نظم الدرر : ٤٣٣/٧ .

[٩]- الإسراء : ١٢

[١٠]- ينظر : اللباب : ٢٢١/١٢ .

ورد هذان المتعاطفان في سورة الجمعة في صورتين متغايرتين فقد قال تعالى:((وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))[1] فقد خالف في الترتيب في العطف والمتفحص لهذا النص يجد أنّ ثمة مقاصد دلالية تقف خلف هذه المغايرة ، فأنه لمّا ذكر ما من شأنه إقامة المعاش وهو أمر مقدم عند الناس جاء بلفظ (التجارة) لانّ بها تقام أحوال الناس ثم أتبعه بما هو أنزل منه وهو(اللهو) فالتجارة عندهم مقدمة لذلك جاءت مقدمة في سياق (رأوا) وما فيه من التطلع فهم يتطلعون إليها لأن فيها قوام حياتهم ولكنه لمّا ذكر – أفضلية ما عند الله جاء هنا بما يعد نتيجة للتجارة لإقبال الأغلبية في حال الرفاهية .

[1]– الجمعة : ١١

المبحث الثاني :- الإيجاز والأطناب

الإيجاز

يدلُّ الإيجاز على الاختصار في الكلام فهو مأخوذ من الواجزة بمعنى التقليل والاختصار والتقصير والكلام الموجز أي: القصير القليل، ومن ثم فهو يدور في فلك التقليل من الألفاظ بالنسبة لمتعارف الأوساط فهو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارف أداء المعنى نفسه بها[١]، وقيل هو وضع المعاني الكثيرة في اللفاظ أقل منها وقيل هو أداء المعنى الكثير باللفظ القليل لذلك يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) : ((هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة))[٢] وقال فيه أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ): بأنّه قصور البلاغة على الحاجة لان ما تجاوز الحاجة يعد فضلا يدخل في باب الهذر والخطل اللذين يعدان من عيوب البلاغة[٣]، لذلك عرفه ابن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) بأنَّه:((العبارة عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف))[٤] .

والإيجاز على قسمين : إيجاز بالحذف وإيجاز بدون الحذف ويسمى إيجاز القصر[٥] لذلك سنحاول إن نتبع هذين القسمين في السور المفتتحة بالتسبيح للوقوف على هذا الأجراء الكلامي تركيبيًا ودلاليًا.

أولًا – إيجاز القصر:– هو الإيجاز من دون حذف[٦]، إذ يعمد المتكلم إلى تقليل الألفاظ وتكثير المعاني بأن يأتي بالعبارات جامعة ذات دلالات شاملة يدخل تحتها كثير من الأفراد والهيئات بأن يضمن العبارات القصيرة معاني كثيرة، وقد قيل فيه أنه أعلى طبقات الإيجاز وقلمّا يسلكه المتكلمون، إذ لا يتقنه إلَّا من تمرس بمسالك القول لذلك فلا تراه مستعملًا إلاّ عند الفحول[٧] .

---

[١] – ينظر : مفتاح العلوم : ٢٧٧

[٢]– الحيون : ٩٠٨/٦

[٣]– ينظر : كتاب الصناعتين : ١١٥

[٤]– العمدة : ١٦٧/١

[٥]– ينظر المثل السائر :٢٦٤/٢

[٦]– ينظر : النكت في اعجاز القرآن : ٢٨ ، وسر الفصاحة : ١٩٩ .

[٧]– ينظر : المثل السائر : ٣٣٥/٢.

لقد وُظِفَ هذا النوع من الإيجاز في السور المفتتحة بالتسبيح توظيفا ملائما للسياق الوارد فيه ومن امثله ذلك قوله تعالى:((فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا))[١] فالقول الميسور معنى عام يدخل تحته كلام كثير ولك أنْ تتخيل أنواع الكلام الميسور وأثره وفضائله وغير ذلك فلم يحدد النص المتلقي بنوع خاص من القول وإنَّما اكتفى بوصفه بأنّه (ميسور) لترك مساحة واسعة أمام المتلقي لتخيل السلوكيات الواردة فيه[٢]، وقريب منه قوله تعالى ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ))[٣]، فلم يحدد (التي هي أحسن) ومصادقيها وإنما تركها لكلّ ما يدخل تحت الحسن فيحتمل تحته أنماطًا من مقاربة الأموال تجمعها صفة المعاملة الحسنة كالتجارة الحلال وغيرها [٤] .

ولعل مِن أبرز مصاديق هذا الإيجاز ما جاء في قوله تعالى:((قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ))[٥]، فقد جاء الكلام عامًا محتملاً تحته مصاديق شتى، إذ قلل الألفاظ وترك مساحة المعنى ممتدة إلى نهايات واسعة تسمح للمتلقي بحرية التفكير حتى غدت هذه الجملة تجري على الألسن مجرى المثل، ويقترب من هذا في استعمال اللفظ مجرى الأمثال للتكثيف الدلالي فيه الناتج عن تحميل الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة قوله تعالى:((كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا))[٦] فلم يحدد النص صورة محددة الأطراف لوصف اليهود (الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها) ألاّ بانْ جعل منهم مثلا مصورًا بحالة (الحمار يحمل أسفارًا) وترك عملية تقدير وجوه الشبه والعلاقة بين الأطراف للمتلقي فأنَّ له حرية واسعة في تخيل وضع الحمار يحمل كتباً ودرجة الانتفاع بها والأضرار بها وثقلها عليه من دون نفع وغيرها من المعاني المتكاثرة التي جمعها اللفظ القليل[٧] .

---

[١]- الإسراء : ٢٨

[٢]- ينظر : البحر المحيط : ٤١/٧

[٣]- الإسراء : ٣٤ .

[٤]- ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٣/٣ – ٤٥٤ .

[٥]- الإسراء : ٨٤

[٦]- الجمعة : ٥

[٧]- ينظر : فتح القدير : ٣٠٣/٣.

ويمكننا تلمس المقصد ذاته من حيث الاقتصاد في اللفظ المحتمل دلالات متعددة في قوله تعالى الجامع تحته أجزاءً متعددة:((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))[1] فلم يكن عدد المأمورين بأخذه محددًا ولا عدد المنهى عنه مقصورًا على فعل دون فعل وإنما ربط ذلك بما أتاهم به الرسول، وما نهاهم عنه، وللمتلقي أنْ يتخيل ما أتاهم به، وما نهاهم عنه ليصطف في المخيلة عدد يصعب حصره في الحيثيات والأنماط والصور من الأمر والنهي ومن ثم كان النصّ كثير المعاني قليل الألفاظ فأضفى على الكلام رونقًا وتماسكًا وابتعد به عن الهذر والخطل والزيادات التي لا تكتنفها الفائدة .

ثانياً : إيجاز الحذف

تعد ظاهرة الحذف من أوسع الظواهر اللَّغوية استعمالًا وأكثرها دورانًا على الألسنة لِمَا فيها من قصد الاقتصاد اللفظي وعدم الإطالة والابتعاد عن الترهل ولأهميتها فقد تفحصها النحويون واللغويون والبلاغيون كلّ حسب مقصده منها فدرسها النحوين تركيبيًا ومعياريًا ودرسها البلاغيون من جهة أثرها في المعنى وجمالية الأسلوب وبلاغة الكلام .

تتمحور ظاهرة الحذف حول مفاهيم القطع والإسقاط والرمي والقطف وغيرها من المعاني التي تتركز حول التنازل عن جزء من الكلام فقد جاء عن ابن دريد(ت٣٢١هـ) مثلا قوله:((حذفت الأرنب بالعصا أحذفها حذفاً اذا رميت بها ، وحذفت رأسه بالسيف حذفًا حزيته به فقطعت منه قطعة))[2]، وجاء عند الجوهري(ت٣٩٣هـ) قوله:((حذف الشيء ، أسقاطه ، يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة إي أخذت منه))[3] وهو المعنى نفسه الذي ذكره ابن ابن منظور(ت٩١١هـ) حين قال:((حذفت الشيء يحذفه إي قطعه من طرفه))[4] .

إمّا في الاصطلاح فقد تعدّدت تعريفاتهم له بِما لا يخرج عن المعنى اللغوي من أسقاط جزء من الكلام فقد قال فيه الرماني(ت٣٨٤هـ):((أنَّه أسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة

---

[1]- الحشر : ٧

[2]- جمهرة اللغة : ٢٥٦/١

[3]- الصحاح : ٢٣٣/٤

[4]- لسان العرب : مادة (ح ذ ف) : ٩٣/٣ .

غيرها من الحال وفحوى الكلام))[1]، وقال فيه الباقلاني(ت٤٠٣هـ) أنَّه: (الإسقاط للتخفيف)[2] .

والحذف – تركيبيًا – يقسم على نوعين بحسب ما يحذف ؛ فقد يحذف جزء الجملة وقد تحذف الجملة كلها وسنحاول إن نتفحص هذين النوعين في السور المفتتحة بالتسبيح للوقوف على مقاصدها الدلالية.

١- حذف جزء الجملة (المفردات)

قد تحذف المفردات استغناء عنها بالمذكور غيرها في الكلام مراعاة للسياق والمقام وابتعاداً بالكلام عن الإطالة والزيادة ولعلَّ أكثر ماورد من هذا النوع من السور المفتتحة بالتسبيح وهو حذف المفعول به وحذف الجار والمجرور مع حضور قليل لغيرها من المفردات التي تم حذفها ويمكن تفحص هذا النوع من الحذف بالاتي :-

أ- حذف الجار والمجرور

وهو النوع الأكثر ورودًا من بين المفردات الأخرى وكان حذفها في خدمة السياقات الواردة فيها مؤدية دلالات مقصودة

لقد كان الاكتفاء بالحدثية الموجودة في الفعل من أهم دوافع هذا الحذف مركزًا القول في الفعل نفسه دون متعلقاته ومنه قوله تعالى ((فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))[3] فالتقدير (واستغنى الله عنهم) فحذف الجار والمجرور المتعلقين بالفعل والنكتة فيه أنَّ النقطة الأهم هنا هي استغناء الله – سبحانه – عن كل ما سواه فهو أمر عام ووصف كليّ لا يتعلق باستغناء الله عنهم وإنما كان للخوف بعد دلالي واضح بأنْ جعل الاستغناء عامًا غير محدد بجهة لذلك ذيل الكلام بقوله ((والله غني حميد))لأن المقصود من الكلام هو تنزيهه سبحانه عن النقص بالحاجة إلى سواه[4] .

وليس ببعيد عن هذا الفهم قوله تعالى:((وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[5]، فقد كان بؤرة النص في حثّهم على العفو والصفح والغفران من غير اعتناء

---

[1]- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٧٦ .

[2]- اعجاز القرآن : ٢٦٢

[3]- التغابن : ٦

[4]- ينظر : النكت والعيون : ٢١/٦

[5]- التغابن : ١٤

بالجهة المتوجه إليها بالفعل وكأنه امر بمحاسن الأخلاق بشكل عام من غير اعتناء بالجهة فلما كان أمرًا عامًا ابتعد عن تقييده لجهة معينة [١] .

ويمكننا تلمس هذا المعنى ذاته في قوله تعالى:((وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٢] فالتقدير ((الأ تنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه))، وقد ورد هذا المحذوف مع الفعل في الآية السابعة المتقدمة على الآية فوضع الشاهد:((وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)) والفرق واضح بين الاستعمالين فقد كان ذكره من قبل مراعاة للاستغناء عنه في ما بعد في موقف استفهام تعجيبي توجه نحو إظهار التعجب من عدم إنفاقهم في سبيل الله وليس نحو تحديد الجهة المنفق منها فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه غير مقصود بالكلام واظهر (في سبيل الله) لأنه المقصود [٣] .

وقد يستغنى عن ذكر الجار والمجرور لأنه مفهوم من سياق الكلام والأمر دائر فيه ومن ذلك قوله تعالى:((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا))[٤]، فأنه لما كان الكلام دائرًا في الحقوق المالية استغنى به عن ذكر المحذوف الذي يمكن تقديره ((وآت ذا القربى حقه من المال ...)) فهو مفهوم من سياقات الكلام لذلك حذفه اقتصادًا في اللفظ فضلًا عما أتاحه حذف الجار والمجرور من نقل بؤرة الحدث لتكون متعلقة بقوله ((حقه)) وكأن هذا الحق هو المقصود الأساس من الكلام لئلا يفهم انه عطاء تفضل وإنما هي حقوق لهؤلاء في الأموال [٥]

ومن هذا المقصد في الحذف قوله تعالى:((إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ))[٦] والتقدير ((ويقدر)) وقد حذفه، لأنّه سبقه ما يدلُّ عليه (لمن يشاء) ولو أعاد ذكره لصار الكلام إلى مظهر من مظاهر الترهل والزيادة فضلًا عمّا فيه من حذف المفعول به إذا قدرنا الكلام تامًا ((ويقدر الرزق لمن يشاء)) وكأنه لمّا كان الأمر فيه تقدير (ضد السبط) نأى عن ذكر مشيئته سبحانه مع التقدير، وكأنها أليق بالبسط لامتداد مشيئته واتساعها .

---

[١]- الكشاف : ١٣٥/٥

[٢]- الحديد : ١٠

[٣]- ينظر : انوار التنزيل : ١٨٦/٥

[٤]- الإسراء : ٢٦

[٥]- تفسير معالم التنزيل : ٨٩/٥

[٦]- الإسراء : ٣٠

ب- حذف المفعول به

يحذف المفعول به عندما لا يكون مقصودًا في الكلام ويكون مدار الأمر على الاتصاف بالفعل من دون اعتناء بمن يقع عليه ومثاله قوله تعالى:((الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى))[١]، فقد كان مدار الأمر على نسبة الخلق والتقدير له سبحانه ووصفه بأنه كان مسويًا للخلق وهاديًا في تقديره، فلم تكن المفاعيل بها مقصودة لذاتها وإنما كان مجرى الكلام في حيز وصف الربّ الأعلى الذي أمره بتسبيحه في الآية الأولى في السورة فكان نسبة الحدث (خلق / سوّى / قدر / هدى) هي مركز الحدث وليس ما خلق أصوات سوّاه أصوات قدّره أصوات هداه [٢] .

والحقيقة إن سورة (الأعلى) انحازت بهذا النوع من الحذف فقد جاء فيها:((سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى))[٣] بتقدير (سنقرئك القران فلا تنساه) وقوله تعالى:((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى))[٤] بتقدير ((فذكرهم إن نفعتهم الذكرى)) – والله اعلم – فقد كان الكلام في الآية الأولى دائرة في نعم الله من حيث أقراؤه مما ينتج عدم نسيانه فكان أبعاد النسيان عنه هو المقصود من دون الالتفات إلى الشيء المنسي، وليس ببعيد عن هذا الفهم ما يمكن تلمس علة الحذف في قوله((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا))[٥] فقد كان المؤمنون متوجهين إلى ربّهم لطلب المغفرة بوصفها **كلا** لم يحدد فيه الشيء المطلوب غفرانه وكأنهم توجهوا نحو صفة الغفور الشاملة لا نحو غفران شيء محدد [٦] وهو المعنى نفسه الذي جاء في قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[٧] .

١- الأعلى : ٢ – ٣

٢- ينظر : انوار التنزيل : ٣٠٥/٥

٣- الأعلى : ٦

٤- الأعلى : ٩

٥- الحشر : ١٠

٦- ينظر : بحر العلوم : ٣٤٥/٣

٧- الحديد : ٢٨

ومنه ايضا قوله تعالى:((لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[١] فلم تتعرض الآية للمفعول به للفعلين ((يحيي ويميت))؛ لأنَّ مدار الأمر كان في بيان قدرة الله سبحانه وتعالى من غير اعتناء بمن يقع عليه الحدث ، فالإحياء والإماتة هما المقصودان لذلك ذيل الكلام بقوله:((وهو على كل شيء قدير)) والقدرة تتعلق بالفعل وليس بمن يقع عليه .

٣- حذف حرف النداء

من الاساليب الشائعة في القران الكريم حذف حرف النداء مع كلمة الرب أصوات الاله اشعارًا بقرب المنادى وعدم وجود مسافة تفصل بين المنادي والمنادى مصداقًا لقوله تعالى:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ))[٢] ومن ثم نلاحظ حذف حرف النداء في مواضع النداء تلك كلها وقد جاء منها في السور المفتتحة بالتسبيح قوله تعالى: ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا))[٣] ((رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))[٤] .

٤- حذف المضاف أو المضاف اليه

يرى النحويون أنَّ المتضايفين كالجزء الواحد وذكر أحدهما يستوجب ذكر الآخر لما بينهما من علاقة الإضافة ولكنهما قد يحذفان اعتمادًا على ما يتواجد حولهما من دلالات تسهم في سهولة تقديرها .

أمَّا حذف المضاف فيستعمل ان اريد اظهار الشيء متوجهًا إلى المضاف اليه ومثاله قوله تعالى:((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا))[٥] فالمتبادر الى الذهن إن الاهلاك يكون لـ ((اهل القرية)) وليس لـ(القرية) من حيث هي أشجار وأنهار ودواب وغيرها، لأنها غير معاقبة وإنما يُعاقب الفاسقون غير الممتثلين لأوامر الله سبحانه وسياق الآية يظهر ذلك بوضوح ولكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه زيادة في التخويف، فكأنّ القرية كلها تعاقبت بزين مترفيها بدليل أنَّه قال:(فدمرناها تدميرا) والتدمير متوجهًا للقرية كلها[٦] .

---

[١]- الحديد : ٢

[٢]- البقرة : ١٨٦

[٣]- الحشر : ١٠

[٤]- الحشر : ١٠

[٥]- الإسراء : ١٦

[٦]- ينظر : الدر المنثور : ٢٥٤/٥

وما حذف المضاف إليه فقد جاء بعد الظروف (قبل/بعد) اعتمادًا على ذكر حدث سبق ذكره في الكلام يجعله ميقاتا تقاس الأشياء به من حيث حدوثها قبله أو بعده ومن ذلك قوله تعالى ((وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) [١] فقد ذكر أنَّه (بعث في الامين رسولا منهم) فكان هذا الحديث فاصلًا زمنيًا وقتت عليه الاشياء ومن ثم فانهم كانوا قبل بعثه رسولًا منهم لفي ضلال مبين نحذف المضاف اليه لسبقه ما يدل عليه وهو المعنى ذاته الذي يمكن تلمسه في قوله تعالى: ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ))[٢] فكان علمهم بنبأ الذين كفروا قبل حلول العذاب عليهم يمثل حجة عليهم ولولا سبق وجود الحجة لانتفى تعذيبهم ويظهر المعنى جليًا في قوله تعالى:((أولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا))[٣]، فقد جاء هذا الحذف والتقدير (بعد الفتح) في سياق الحديث عن عدم تساوي المنفقين والمقاتلين قبل الفتح وبعده فحذف المضاف إليه (بعد الفتح) لوضوح الدلالة عليه اختصارًا في الكلام وتعويلًا على فطنة المتلقي في تقديره [٤] .

٥- حذف المبتدأ أو الخبر

المبتدأ والخبر ركنان رئيسيان في الكلام وعمدة يقل حذفهما، لأنّ في حذفها خرقًا لبناء أساسي في الكلام، ولكن هذا لا يعني عدم جواز الحذف فقد يُحذف ايٌّ منهما لأغراض دلالية وجمالية تلائم السياق الوارد فيه[٥]، وقد وضف هذا الحذف في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع منها قوله تعالى:((الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ))[٦] فقد حذف الخبر الذي يمكن تقديره بحسب السياق بـ(يستحقون العذاب) فكأنه ترك مصيرهم مفتوحًا امام التخيلات بحسب الجو العام الذي أحاط بالكلام .

ويمكن تقدير حذف المبتدأ في قوله تعالى:((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا))[٧] فيمكن تقدير مبتدأ محذوف فيكون الكلام ((الاّ

---

[١]- الجمعة : ٢
[٢]- التغابن : ٥
[٣]- الحديد : ١٠
[٤]- ينظر : الميزان : ١٦٠/١٣
[٥]- ينظر : علم المعاني : ١٢٢
[٦]- الحديد : ٢٤
[٧]- الحديد : ٢٢

هي في كتاب)) فيكون شبه الجملة في محل رفع خبرًا لمبتدأ محذوف ويظهر من خلال النص ان هذا الهدف من الكلام كان اثبات ان لا شيء يحدث إلاّ بعلم الله وتحت قدرته ولم يكن ذكر المصيبة مهمًا بقدر التركيز على كونها موجودة في كتاب من قبل حدوثها، فحذف المبتدأ استغناء عنه وذكر الركن الآخر (الخبر) الذي يمثل بؤرة الكلام ويؤيد هذا قوله سبحانه وتعالى في موضع آخر((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ))[١] فالمرتكز في الاخبار ان المصائب لا تصيب الا بأذن الله ومن ثم فهو بالذكر أولى لذلك اكتفى به من دون ذكر المبتدأ الذي يمكن تقديره بـ(هي) ومن حذف المبتدأ ايضًا قوله تعالى:((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[٢] فقد كان مدار الحديث عن علاقة الناس بالله وامرهم بالإنفاق فان هذا الأمر يقتضي الإخبار عن صفاته واسمائه فاكتفى بذكر الخبر؛ لأنه المقصود .

٦-حذف التوابع

التوابع في النحو العربي أربعة : التوكيد والبدل والعطف والنعت ويبدو لي ان التوكيد لا يحذف لأنه عندما يؤتى به في الكلام يكون مقصودًا لذاته ويؤثر في الدلالات ويقترب منه البدل في انه على نية تكرار العاقل، ومن ثم فانّ حذفه يذهب بهذه النية لذلك لم أجد له حضورًا في السور المفتتحة بالتسبيح في حين وجدنا العطف والنعت حاضرين في مسألة الحذف وسأحاول التفحص بعض مظاهرهما .

ولقد جاء حذف العطف في عدد من المواضع منها قوله تعالى ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[٣] فتقدير الكلام ومن ((ومن يشاق الله ورسوله)) ولكنه حذفه والتقدير من يشاق الله ورسوله اكتفاء بما تقدم، من ذكره ومعطوفًا على لفظ الجلالة في الموضع الذي سبقه، فاكتفى بذكر المعطوف عليه اشعارًا بأنَّ المتعاطفين كالجزء الواحد وأنَّ مشاقة رسول الله تدخل في مشاقته تعالى [٤] .

ومن حذف المعطوف أيضًا قوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ))[٥] فالمساوة انما تكون بين أكثر من واحد ومن هنا يمكن تقدير الكلام بـ((لا يستوي

---

[١]- التغابن : ١١

[٢]- التغابن : ١٨

[٣]- الحشر : ٤

[٤]- ينظر : فتح القدير : ١٤٧٣

[٥]- الحديد : ١٠

منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق بعد الفتح وقاتل)) والدليل انه ذكر المنفقين بعد الفتح في موضوع لاحق وارى أن حذف المعطوف هنا إنما كان ارتفاعًا بمنزلة من أنفق قبل الفتح وقاتل وكأنه فضلهم بالذكر على من انفق بعد الفتح ليلائم قوله الاتي بعده بأنهم ((أولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا))[١] .

أمَّا حذف النعت فقد جاء في قوله تعالى:((وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا))[٢] فقد حذف النعت (الاقصى) بعد كلمة (المسجد) اكتفاء بما ذكره في مفتتح السورة حين قال:((سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى)) وقد استغنى عنه هنا لأنه مسجد مشار إليه ومحدد بلحاظ القريبين منه وهم اليهود فانه لما كان الحديث عن دخول المسجد دلّ على انّ المقصود هو المسجد الأقصى لذلك اكتفى بذكره هو دون نعته أما في الموضع الأوّل فقد كان هناك مسجدان ومن ثم فلا بد من التفريق بينهما بذكر صفة من صفاتهما [٣] .

ثانيا : حذف الجمل

قد تحذف الجملة برمتها اكتفاء بذكر جمل أخرى لها ترابط معها فيكون وجود أحدها دلالة على وجود الأخرى، وإنْ حذفت مثل الجمل الشرطية وجملة القسم والجمل المعطوفة وغيرها وهو بشكل عام اقل حضورًا من حذف المفردات .

١- حذف الجملة الفعلية

تحذف الجملة الفعلية استغناء بما يرد في السياق ومن ذلك قوله تعالى ((وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ))[٤] فقد كان المقام مقام جزاء ووعد بالمغفرة وادخالهم الجنات والمساكن الطيبة في جنات عدن، ثم جاء بهذه الآية بعدها فتكون تقدير الكلام ((يجزيكم اخرى تحبونها))أو ((يعطيكم أخرى تحبونها)) والله اعلم فيكون المحذوف هو الجملة الفعلية استغناء بما ورد قبلها من الوعد بالفوز[٥] .

---

[١]- الحديد : ١٠

[٢]- الإسراء : ٧

[٣]- ينظر : البحر المحيط : ١٦/٧

[٤]- الصف : ١٣ .

[٥]- ينظر : بحر العلوم : ٣٥٩/٣

ومنه قوله تعالى:((يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ....))[١] وتقدير الكلام:((واتقوا يوم يجمعكم)) أو((واذكروا يوم يجمعكم)) والله اعلم فقد كان المقام مقام تخويف وتهديد وتذكير بما يجري في ذلك اليوم من تغابن [٢] .

ومنه أيضًا قوله تعالى ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ))[٣] فالإيمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير ((وأثروا الايمان)) [٤] فأنه لما لم يكن ممكنًا جمع المتعاطفين بعامل واحد اتضح ان العامل في الأول ليس هو العامل في الثاني لذلك وجب تقديره والعلّة في الحذف انه أراد أن يعطي للإيمان بُعدًا حسيًا وكأنّهم استقروا عليه .

ومن حذف الجمل أيضًا جملة الجواب والابقاء على جزئها للدلالة عليه ومنه قوله تعالى:((إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا))[٥] فالتقدير:((وان أسأتم فاسأتم لها)) فحذف جواب الشرط والعلة فيه أنَّه أراد جعل الاساءة ملاصقة تظهر بمظهر اقرب لان يكون ملكًا لأنفسهم مبتعدًا به عما في الفعلية من سمة التغير [٦] ومن مظاهر حذف جملة الجواب ايضًا قوله:((رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا))[٧]، فقد حذف جملة الجواب والتقدير:((ان تكونوا صالحين يغفرلكم)) واكتفى بذكر التقليل بعده وعجل به على مسامعهم لأنه المتلهف إليه ((كان للأوابين غفورا)) .

ومن حذف الجملة الفعلية ما يعرف في النحو العربي بباب الاشتغال في مثل قوله تعالى ((وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا))[٨] فـ (كلّ) مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور كما قيل قيل في أبواب النحو العربي[٩] والعلة فيه ان مدار الكلام كان في سياق الاحاطة بالتفصيل

١- التغابن : ٩

٢- ينظر : المحرر الوجيز : ٣١٩/٥

٣- الحشر : ٩

٤- ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣٣٢/٩

٥- الإسراء : ٧

٦- ينظر : روح المعاني : ١٩/١٥

٧- الإسراء : ٢٥

٨- الإسراء : ١٢ .

٩- ينظر : علم المعاني : ١٢٢

وليس التفصيل ذاته فاتجه الى جعل التفصيل عامًا شاملًا لكل شيء فقدّم على التفصيل ما يدل على العموم وشغل التفصيل بالضمر الدال عليه[١] .

ومنه أيضًا:((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ))[٢] وتقدير الكلام ((والزمنا كلّ انسان)) فكان (كلّ) مفعولًا به لفعل محذوف .

٢- حذف الجملة الاسمية

قد تحذف الجملة الاسمية كما تحذف الفعلية أنْ دلَّ عليها دليلٌ واكتفاء بما يذكر قبلها من كلام يكون هو المقصود بحسب المقام ومن هذا قوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ))[٣]، فقد ذكر تعالى مصير أصحاب الجنة، لانَّ المقام كان مقام مفاضلة وتبشير لذلك اكتفى بذكر الطرف الفائز عن ذكر الطرف الخاسر وتمام الكلام أنْ يقال:((أصحاب الجنة هم الفائزون وأصحاب النار هم الخاسرون)) ولكن ذكر الخسران في مقام التبشير غير ملائم للسياق فاكتفى بذكر ما يدخل السرور[٤] .

---

[١]- ينظر : فتح القدير : ٨١٣ .

[٢]- الإسراء : ١٣ .

[٣]- الحشر : ٢٠ .

[٤]- ينظر : الميزان : ٢٢٨/١٩

الأطناب

ينبني الأطناب على فكرة رئيسة مفادها تأدية المعاني بألفاظ أكثر ممّا يقتضه المعنى ومن ثم فهو زيادة في اللفظ على حساب المعنى وسنحاول أنْ نتفهم أساسيات هذا السلوك الكلامي وأثره في الدلالات .

اللُّغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب أنَّ الأطناب هو الطوال من حبال الأخبية والأطناب ما يشد به البيت من الحبال بين الارض والطرائق _ وأطنب في الكلام بالغ فيه ، والإطناب المبالغة في مدح أو ذم والاكثار فيه ... والمطنب المداح لكلّ واحد[١]، وقد جاء المعنى نفسه عند الصاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ) حين قال:((هو مأخوذ من الطنب وهو الطول في ظهر الفرس وغيره ، يقال فرس أطنب))[٢]، وقد جاء في معجم مقاييس اللغة: ((الطاء والنون والباء أصل يدل على ثبات الشيء وتمكنه في استقالة من ذلك الطُّنُب :طُنُبُ الخيام وهي حبالها التي تشدْ بها .. ومن الباب قولهم :أطنب في الشيء إذا بالغ))[٣]

أمَّا في الاصطلاح فقد جاء الأطناب في عدد من المؤلفات اللغوية دالًا على المعنى الرئيس فيه الدال على الإطالة فقد جاء عن الجاحظ (٢٥٥هـ) قوله ((وقد بقيت _ أبقاك الله _ أبواب توجب الاطالة وتحوج إلى الاطناب وليس بإطالة مالم يجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى الحاجة))[٤] وكأنّه يجعله مرادفًا للإطالة .

إما العسكري (٣٦٥هـ) أنَّ ثمة فارقًا بين الأسلوبين فالأطناب بلاغة لأن المتكلم فيه يسلك سلوك العارف أما المطوّل فجاهل تلك المسالك لذلك يقول:((الاطناب بلاغة والتطويل عي ، لان التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلًا بما يقرب))[٥] .

ولأن الاطناب سلوك مع المعرفة بمسالك الكلام فهو محتاج إليه لتأدية المعاني لذلك لا غنى للمتكلم عنه كما انه لا غنى له عن الايجاز:((القول القصد إن الإيجاز والاطناب

---

[١]- لسان العرب :(مادة طنب): ٨/٢٠٥-٢٠٦

[٢]- المحيط في اللغة :٩/١٨٩

[٣]- مقاييس اللغة :(مادة طنب): ٣/١٠٦

[٤]- الحيوان : ٦ /٧

[٥]- كتاب الصناعتين : ١٩١

يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضوع ، فالحاجة إلى الايجاز في موضعه كالحاجة إلى الاطناب في مكانه))[١].

فالأمر إذن يدور حول المبدأ الكمي في الموازنة بين الألفاظ والمعاني لذلك يقول السكاكي (ت٦٢٦هـ) ((انه أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف))[٢]و(المتعارف) الواردة في تعريف السكاكي هي (متعارف الأوساط) .

ومدح ابن الأثير(٦٣٧هـ) بالشرط الأساسي في الإطناب حين قال معرفًا إياه:((أنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))[٣]، ومن ثم كانت الفائدة اركنًا ومقصدًا ففي هذا السلوك الكلامي، وإلا عدت الزيادة حشوًا وتطويلًا وعيب صاحبها وهو المعنى الذي أكده الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) حين قال بأنه تأدية المعنى المراد بلفظ زائد عليه وذلك ابتغاء تحقيق فائدة ما [٤] .

ومن ثم ترشح لنا من التعريفات السابقة ان الاطناب مبني على ركنين اساسيين هما الزيادة والفائدة ، اما الزيادة فهي انْ تزيد الألفاظ عن العدد المتعارف تأدية المعنى من خلاله بين أوساط المتكلمين باللغة ذاتها واما الفائدة فلابُدَّ من أن يكون في الاطالة زيادة في المعنى أو توكيدًا له أو احتراسًا من خطأ قد يعتري الفهم أو تفضيل لِمَا هو عام أو غير ذلك وهو ما يعرف عند العلماء بالأغراض التي يؤديها الاطناب، وقد أفاضت المدونات البلاغية والنقدية بالحديث فيها وسنحاول أن نتبع عددًا منها في ميدان دراستنا (السور المفتتحة بالتسبيح) لنقف على الاغراض التي خرج اليها الكلام والدلالات المكتسبة من الاطناب .

أولًا: التذييل:

التذييل هو تعقيب جملة بأخرى تتضمن معناها تأكيدًا لها وتقديرًا للمعنى السابق لها فقد قال الزركشي (ت٧٩٤هـ): ((ان يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه))[٥] ولعلَّ من أوضح المصاديق التي يستشهد بها البلاغيون لهذا الاسلوب هو

---

[١]- كتاب الصناعتين : ١٩٠

[٢]- ينظر: مفتاح العلوم :٢٧٧

[٣]- المثل السائر : ٣٤٤/٢

[٤]- ينظر الايضاح : ١٣٩

[٥]- البرهان في علوم القران :٦٦٤

هو قوله تعالى في سورة الإسراء:((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))[1]، فقد جاءت جملة ((إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) تذييلًا للجملة التي سبقت فصار مثلًا يستشهد به في كل زمان ومكان ومجرى على السنة الناس مجرى المثل السائر الذي حقق دلالة ما قبله ووكدها في النفوس ودفع عنها الشك .

ومن التذييل أيضًا قوله تعالى:((يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[2] فقد دفع بهذا التذييل والله عليم بذات الصدور أو شبهه لمنكري المعاد مبنية على استبعاد اعادة الموجودات إلى الحياة وهي فانية بائدة وحوادث العالم لا تحصى فمنها الظاهر والباطن والسر والعلن والمشهود والغائب فدفع الله سبحانه هذه الشبهة بانه يعلم ما في الصدور تذييلًا على اخباره بأنه يعلم ما في السماوات وما في الارض فتأكد المعنى واندفعت الشبهة عنه[3].

ومنه أيضًا ما جاء في قوله تعالى:((فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ))[4] فبعد ان بين عاقبة المشار اليهما بسبب ظلمهم ذيل الكلام محملًا إياه دلالات متعددة حين قال ((ذلك جزاء الظالمين))، إذ ركز في نفوسهم أنه حكم عام لكلّ ظالم لئلا يذهب الظن أنه حكم خاص بمن نزل فيهم فضلًا عن الاشارة إليهم بوصفهم ظالمين فكان التذييل مقصودًا لا يحتاج اطراف الحكم ليتأكد من جهة وليدفع عنه الغموض من جهة أخرى محذرًا الشيطان والانسان في علاقتهما التي تجعل منهما ظالمين[5].

ومن التذييل أيضًا قوله تعالى:((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[6].

فبعد أن صور للمتلقي حال الذين فرّطوا في التوراة ولم ينتفعوا بها كمثل الحمار المحمل اسفارًا والجامع بينهما عدم الانتفاع، ثم جاء بما يجعله حكمًا واضاءة لِمَا تم المعنى به قبله

---

[1]- الإسراء : ٨١

[2]- التغابن :٤

[3]- ينظر الميزان في تفسير القران :٣٠٩/١٩

[4]- الحشر: ١٧

[5]- ينظر : الميزان في تفسير القران : ٢٢٢/١٩ومجمع البيان في تفسير القران :٣٣٦/٩

[6]- سورة الجمعة : ٥

إذ ذيل الكلام بان ذمهم ثم ليختم الموقف الكلامي بـ((وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) فكان حكمًا عامًا يندرج تحته غيره فضلًا عن تقويمهم بانهم ظالمون .

ثانيا :- الاعتراض

وهو في شكله العام يدور حول إيراد كلام اثناء كلام تام يفاد من هذا الكلام المتوسط لدفع شبهة أو التحرز من فهم خاطئ أو يستكمل به المعنى لاحتمال وجود نقص في أصل الجملة ولذلك فهو يتداخل مع عدد من الأساليب الاخرى التي تؤدي الاغراض نفسها مثل: الاحتراس والتكميل وغيرها وسأحاول أنْ اتفحّص ما يدخل تحت هذا المفهوم المتقدم في السور المفتتحة بالتسبيح للوصول إلى سبب مجيئ التراكيب على الشكل الذي جاءت عليه والوقوف على الدلالات المتحصلة من هذا الاجراء الكلامي .

من الآيات التي ظهر فيها هذا المعنى قوله تعالى:((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ))[١] فجاء الاعتراض بأنْ وصف الخلق (بالحق) فلم يكن عبثًا أو فعلًا مجردًا من الغايات والمقاصد ومن ثم جاء الاطناب مركزًا الضوء على بؤرة الحدث ومحل الجدل فكانت الزيادة في الكلام مقصودة لزيادة في المعنى لم يكن التركيب الأساس للجملة ليؤديها من دونه[٢].

ومنه أيضًا قوله تعالى:((إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ))[٣] فجاءت جملة ((وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)) معترضة بين ركني الاسناد ((إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ))و ((يُضَاعَفُ لَهُمْ)) وكانه حرص على أنْ لا يكون الجزاء المضاعف لكل متصدق وإنما اشترط أنْ يكون بينة اقراض الله قرضًا حسنًا مبتعدًا به عن الرياء والمن وقصد الاساءة وغيره[٤] وهو المعنى نفسه الذّي اكده في قوله تعالى:((إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ))[٥] .

وقد يكون الكلام أكثر توترًا من مجرد الاعتراض البسيط بان يكون احتراسًا عن دخول الشبهة إلى الكلام فيعتمد المتكلم الى سد الفجوات امام المتربصين بالنصّ أو بـدلالاته ومن

---

[١]- التغابن :٣

[٢]- ينظر: :فتح القدير ١٤٩٦

[٣]- الحديد :١٨

[٤]- ينظر :مفاتيح الغيب ٢٣١/٢٩

[٥]- التغابن : ١٧

هذا قولـه تعـالى:((وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا))[١]، فلم يكتف بالتصريح أنَّه أنزله بالحق وإنما لابُدَّ من سد الطريق على المتربصين ممن قد يشككون في الواسطة التي نقل بها وليس فيه هو بذاته فاحترس بقوله ((وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)) لتوكيد كونه حقًا انزلا ونزولًا ومن ثم فلا باب يمكن ان يفتحه الطاعنون المشككون ولو أنَّ هذا التقييد بكونه نزل بالحق لم يرد في الكلام لكان ثمة مداخل للتشكيك فيه وأبطال قيمته المعنوية في النفوس[٢].

ومن الاحتراس ما قد يقصد به رسم خارطة طريق لحركة الناس اتجاه الاشياء فتقيد الحركة لجهات معينة ومنها قوله تعالى في التحذير من غمط حق الايتام:((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ))[٣] فقد جاء الجملة الاعتراضية ((إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) ليمدد مسارات الاقتراب من مال اليتيم لئلا يكون النهي عن الاقتراب منها عامًا حتى يبلغ اشدّه فتتعطل بذلك مصالحهم وقد يلحقهم من الضرر ما يفوق مقاربته فاحترس بأنْ يكون الاقتراب حسنا بتجارة أو غيرها مما يحفظ لهم أموالهم ويضمن نماءها حتى يبلغوا اشدهم[٤] .

ولعلَّ مما يقترب من هذا أيضًا قوله تعالى ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ))[٥] بِالْحَقِّ))[٥] فلم يكن النهي عن قتل النفس عامًا بل شرع للمؤمنين جواز قتل النفس بحقوقٍ استنها لهم مما هو معروفة مواضعه في التشريع الاسلامي ولو أنَّه ترك الكلام من دون هذا الاحتراس لانصرف الكلام إلى حرمة قتل النفس مطلقًا [٦] مما قد يسقي معه افساد كبير بأنّ بأنّ يترك المجرمون أحرارًا مثلا فتتعطل بذلك مصالح الناس ويسود الظلم بينهم وهو من جهة أخرى تقييد لليد بالتحري الدقيق عند تنفيذ العقوبات ولا سيما القصاص [٧].

---

[١]- الإسراء : ١٠٥

[٢]- ينظر : الأمثل ٤٣٠/٧

[٣]- الإسراء : ٣٤

[٤]- ينظر : النكت والعيون ٢٤١/٣

[٥]- الإسراء : ٣٣

[٦]- ينظر : الكشاف ٥١٦/٣

[٧]- ينظر: البحر المحيط ٤٣/٧

ومن هذا ايضًا قوله تعالى ((وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا))[١]، فقد جاء شكر السعي مشروطًا بشرطين هما السعي والايمان فلا يكفي ارادة وثواب الآخرة من دون سعي وايمان ومن ثم فهو يسد الطريق امام من يتكئ على حب الاخرة وتمنى خيرها إذ علق الأمر على السعي المستحق والايمان [٢] فالفوز بالجنة له مقدمات وشرائط يتميزون بها عند أهل النار لذلك أنَّهم غير متساوين في الجزاء لذلك قال تعالى:((لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ))[٣]، فلم يكن يكن كافيا ان يذكر عدم تساوي أصحاب النار وأصحاب الجنة فهو حكم عام ولا يتماشى مع الحث على فعل الخيرات وطلب الآخرة ومن ثم كان لابُدَّ من المايزه بينهم والتصريح بنتائج الاعمال فكان الفوز من نصيب أصحاب الجنة والخسران من نصيب أصحاب النار .

٣- **التفصيل بعد الاجمال** .. يقصد بـ أنْ يأتي بالمعنى في صورتين متباينتين إذ يأتي به عامًا أولًا ثم يفصل فيه ويذكر اجزاءه [٤] لغايات دلالية لم تكن لتظهر لولا سلوك هذا الاجراء الكلامي .

ومما ورد من هذا الاسلوب في السور المفتتحة بالتسبيح قوله تعالى في رسم حدود العلاقة الابناء بالآباء:((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا....))[٥]، فقد رسم رسم الخطوط العريضة أوّلًا بأنْ قال:((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) وهو معنى مجمل فصل القول فيه في ما بعده فازداد الكلام رونقًا وتحددت مسارات الحديث وظهرت لنا بؤرة الإحسان وعددًا من مظاهرها[٦].

---

[١]- الإسراء : ١٩

[٢]- ينظر : معالم التنزيل ٨٤/٥

[٣]- الحشر : ٢٠

[٤]- ينظر : الايجاز والاطناب(رسالة ماجستير) : ١٤٨

[٥]- الإسراء : ٢٣-٢٤

[٦]- ينظر : الامثل -٢٦٥/٧-٢٩٧

ومن هذا ايضًا قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ))[١].

فلما جاء بلفظ (تجارة) عامة ووصفها بأنَّها تنجي من عذاب أليم فصل القول في جزيئات هذه التجارة القائمة على ركنين رئيسين هما الإيمان والجهاد مفصلًا القول في الإيمان والجهاد أيضًا فجدد بذلك المفهوم العام للتجارة لئلا ينسحب الى مسارات أخرى[٢] ويأتي هذا الأسلوب أحيانًا ليميز ما قد يبدو عامًا غير مشتمل على حكم خاص مثل قوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا))[٣]، فالجزء الأوّل من الآية اثبت عدم تساوي الطرفين وهو حكم مجمل، ثم أردفه بأنْ فصل في هذا الاجمال بأنْ جعل من أنفق من قبل الفتح وقاتل هم أعظم درجة وأكبر تفضيلًا فتمايزت الجهتان وفصل الاجمال وحددت الرؤى والاحكام .

٤- **الاجمال بعد التفصيل**- في هذا الاجراء الكلامي يسعى المتكلم إلى لم اطراف الموضوع واخضاعها إلى حكم واحد أو تصور جامع فيحمل ما أتى به مفصلًا من قبل[٤]، وقد ورد هذا الاجراء في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح مثل قوله تعالى:((كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا))[٥] فقد جاءت هذه الآية مجملة ما تم الحديث فيه بالتفصيل في في الآيات السابقة عليها التي ذكرت مجموعة من النواهي مثل:((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ)) و((وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)) و ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)) و ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)) و ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ)) و ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ)) و((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)) و ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا))[٦] فلما ذكر النواهي المتقدمة مفصلًا القول فيها وفي عللها

---

[١]- الصف : ١٠-١١

[٢]- ينظر : الكشاف – ٦/٢٦٥-٢٦٧

[٣]- الحديد : ١٠

[٤]- ينظر : الايجاز والاطناب (رسالة ماجستير): ١٥٠

[٥]- الإسراء : ٣٨

[٦]- الإسراء : ٢٩-٣٧

جمعها في حكم عام مجمل بأنَّ هذه النواهي مكروهة عند الله فاجمل الحكم فيها بعد تفصيله فكأنَّه وضعها في بوتقة واحدة [١].

ومن هنا ايضًا قوله تعالى: ((بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٢] فقد أشار إلى التفصيل المتقدم منه وصف عاقبة اقراض الله قرضًا حسنًا وسعى المؤمنين والمؤمنات في الجنة وما فيها من نعم اجمل وذلك كلّه بأنْ وصفه بانه فوز عظيم[٣] فوضع النعم الانفة الذكر في ساحة الفوز وكانّه البسها كلها لباس الفوز العظيم.

٥-**ذكر الخاص بعد العام** :- قد يأتي المتكلم بلفظ خاص بعد لفظ العام يشتمل عليه اعتناءً بهذا الخاص وإظهارًا لفضل مزية فيه بل كانه يظهره قسمًا مستقلًا متساويًا للعام[٤]، وقد وظف هذا الاجراء في السور المفتتحة بالتسبيح توظيفًا دلاليًا مؤثرًا ومنه قوله تعالى:((إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى))[٥]، فما لاشك فيه أنَّ صحف ابراهيم وموسى جزء من الصحف الأولى لكنه ذكرها صراحة بعد ذكر الصحف الأولى تنبيها على فضلها ولان المخاطبين بالآيات كانوا على قسمين يهود وأضاف على ملة ابراهيم ومن ثم فان ذكر هذا الخاص اعطى له مكانه اعلى من كونه جزءًا من كل [٦] .

ومنه ايضًا قوله تعالى:((يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[٧] فقد ذكر كلمة بسرهم واعلانهم بعد ان ذكر كلمة بما في السماوات والارض وهم جزء مما في السماوات والارض وكانه انتقل بالأخبار عن علمه من الدائرة الأوسع الى الدائرة الاضيق (يعلم ما في السماوات والارض --- يعلم سرهم واعلانهم --- يعلم ما في الصدور) .

---

[١]- ينظر : النكت والعيون : ٢٣٩/٣ – ٢٤٤

[٢]- الحديد : ١٢

[٣]- ينظر : انوار التنزيل واسرار التأويل: ١٨٧/٥

[٤]- ينظر : علم المعاني ١٩٠

[٥]- سورة الأعلى : ١٨ – ١٩

[٦]- ينظر : فتح القدير ١٦١٢

[٧]- سورة التغابن : ٤

ومنه ايضًا قوله تعالى:((ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ))[١] فخص رسوله الكريم عيسى ابن مريم بالذكر من بعد تعميم للفظ بذكر رسله سبحانه وارسالهم بالبينات وانزال الكتاب والميزان فكان لذكر عيسى ابن مريم (عليه السلام) فضل فائدة لأنّها تخاطب قومه وتذكرهم بنعم الله عليهم وتدعوهم إلى الايمان بهذا النبي الخاتم[٢]، وليس ببعيد عن هذا الفهم قوله تعالى:((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا))[٣]، فقد فقد خص داود (عليه السلام) بالذكر بعد التعميم بذكر النبيين بصورة الجمع لانّ اتيان داود الزبور صورة من صور التفضيل الذي فضل بها بعضهم على بعض .

٥-ذكر العام بعد الخاص :-

ويأتي به لإفادة العموم مع الاهتمام بشأن الخاص[٤] لقد وظف هذا في مواضع من السور المفتتحة بالتسبيح مراعاة للمقام واظهارًا لدلالات مقصودة ومن هذا مثلًا قوله تعالى:((لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٥]، فلا شك ان الاحياء والإماتة جزء من القدرة، ولمّا كان هو سبحانه قديرًا على كل شيء فأنَّه من باب أولى قدير على اجزاء الاشياء فيدخل الاحياء والإماتة فيها، ولكنه ساق العام بعد الخاص وكانه دليل عليه وتوكيد لفكرة احيائه الناس وما يرافقها من غرابه فلمّا صرح بقدرته على كل شيء صار المعنى اكثر توكيدًا وابعد عن الاستغراب[٦] ويبدو الأمر أكثر وضوحًا في تجسيد المعنى ذاته في قوله تعالى:((قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا))[٧]، فلمّا كان الكلام حول اعادتهم إلى الحياة واستغرابهم من البعث بعد أنّ يكونوا عظامًا ورفاتًا وكانَّه استهزأ بدعواهم فهم يستغربون من عودتهم بعد موتهم وتناثر لحومهم وكونهم رفاتًا متكسرًا فأبكتهم بأنَّهم لو كانوا بصورة اقسى من الرفات والعظام

---

[١]- سورة الحديد : ٢٧

[٢]- ينظر : ارشاد العقل السليم -٢٨٣/٥

[٣]- سورة الإسراء: ٥٥

[٤]- ينظر: علم المعاني : ١٩١

[٥]- سورة الحديد : ٢

[٦]- ينظر : الكشاف -٤٢/٦

[٧]- سورة الإسراء : ٥٠ – ٥١ .

وهي الحجارة والحديد فانهم غير معجزي الله بل أوغل في اضعاف حجتهم بان اكد بعثهم وأنْ كانوا في اية صورة أكبر من ذلك . فقد تدرج في القوة من الحجارة إلى الحديد ثم ليخرج إلى الدائرة العامة التي تضم الخلائق كلها ولا سيما كبيرها فكان ذكره العام بعد الخاص امعانًا في التعجيز[١] .

[١]- ينظر : النكت والعيون – ٣/٢٤٧-٢٤٨

الفصل الثالث

المستوى الدلالي

المبحث الأوّل: المشكلات الدلالية:

أولًا: الترادف.

ثانيًا: المشترك اللفظي.

ثالثًا: الأضداد.

المبحث الثاني: الانتقال بين الازم والملزوم:

أولًا: المجاز.

ثانيًا: الكناية.

الفصل الثالث : المستوى الدلالي

يُعد البحث في الدلالات من أوسع مجالات البحث لتعلقها بنواحٍ عدة تعلق بالألفاظ والمعاني والأفكار وطرائق تأدية المعاني وتطورها وغير ذلك، والدلالة في وصفها العام تراقب حركة المعاني وتمثيلاتها، فقد قال حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) :((كل شيء له وجود خارج الذهن فإنه اذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أُدرك منه فاذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية في افهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة الالفاظ))[1]، فتكون الألفاظ هي الأداة التي يتوصل بها إلى إقامة تلك الهيأة الذهنية بشكلٍ محسوسٍ لدى المستمع ، فالأمر في الدلالة دائر بين اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وسأحاول في هذا الفصل أنْ اتفحّص هذه العلاقة من خلال مصداقين من مصاديقها وهما المشكلات الدلالية في العلاقة بين اللفظ والمعنى ممثلًا بالترادف والمشترك والاضداد في مبحث أول ثم طبيعة العلاقة الاشارية بينهما ممثلًا في أبواب المجاز والكناية .

المبحث الأوّل : المشكلات الدلالية

تقوم فكرة هذه الفقرة على مبدأ دلالي معروف هو أنْ يكون لكلِّ معنى لفظٌ يدل عليه بلحاظ أنَّ المتكلم أنَّما يتكلم ليبين عن قصده فيتوجب أنْ يكون اللفظ مختصًا للتعبير عن ذلك المعنى ، أمَّا اذا كان اللفظ الواحد معبرًا عن أكثر من معنى أو أنَّ الالفاظ المتداولة قد تعبر عن معنى واحد، فإنّ ذلك يؤدي إلى خرق التوحد ويخرج إلى فضاء التعدد سواءً أكان بتعدد الالفاظ تجاه معنى واحد أم تعدد المعاني تجاه لفظ واحد وهذا ما عرف في البحث اللُّغوي باسم الترادف (تعدد الالفاظ واتحاد المعنى) وسنحاول أنْ نتعرض لهذه الفكرة في السور المفتتحة بالتسبيح من خلال هذه المقدمة .

أولًا: الترادف

---

[1]- منهج البلغاء : ١٨

يُعدُّ الترادف من أكثر الموضوعات الدّلالية التي شاع فيها الحديث وكَثُرَ الخلاف حولها ولاسيما عند المتخصصين في الدراسات القرآنية بين قابل بوجودها ورافض لها تحت مسوغات عقدية وخلفيات معرفية بيانية ودلالية ، وسأحاول أنْ أتعرض لمفهوم الترادف في اللغة والاصطلاح وآراء المختلفين فيه وأسباب وقوعه ليكون توطئة للحديث في توظيفه في السور المفتتحة بالتسبيح .

الترادف :-

١-الترادف في اللُّغة والاصطلاح

أ- الترادف لغة :-

جاء في مقاييس اللُّغة:((الراء والدال والفاء أصلٌ واحد مطرد يدل على اتباع الشيء ، فالترادف التتابع))[١] .

الترادف هو:((الردفُ ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئًا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلق شيء فهو الترادف و ترادف الشيء : تبع بعضه بعضًا والترادف : التتابع والمترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهي متفاعلان مستفعلان ..... سمّي بذلك لانّ غالب العادة في أواخر الأبيات أنْ يكون فيها ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الاخر ولاحقا به))[٢] .

وجاء أيضًا أنَّ المترادف ((أنْ تكون أسماء لشيء واحد وهي مولدة ومشتقة من تراكيب الاشياء))[٣] .

ب-الترادف اصطلاحًا :-

يعد سيبويه أول من ذكر هذا المصطلح دون ان يسميه حيث قال:((اعلم إنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ..... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب واختلاف اللفظيين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف مختلف قولك وجدت عليه من الموجودة ووجدت إذا اردت وجدان الضالة واشباهه كثر))[٤].

---

[١]- معجم مقاييس اللغة (مادة ردف): ٢/ ٤١٨

[٢]- لسان العرب (مادة ردف): ٥ /١٨٩

[٣]- تاج العروس (مادة ردف) : ٢٢٦/١٢

[٤]- الكتاب : ٢٤/١

تحدث ابن فارس (ت٣٩٥هـ) عن الترادف فقال:((ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند الحسام))[١] .

وقيل هو:((عبارة عن الاتجاه في المفهوم وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد يطلق على معنيين أحدهما الاتحاد في الصدق والثاني الاتحاد في المفهوم ومن نظر إلى الأول فرّق بينهما ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما))[٢] .

والقصد من الصدق هو المطابق للواقع ، أمَّا المفهوم فان القصد منه هو طريق الالتزام .

والترادف ((هو الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد قال : واحترزنا بالأفراد عن الاسم والمدّ فليسا بمترادفين وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف و الصارم ، فإنهما دلا على شيء واحد ، لكن باعتبارين : أحدهما على الذات ، والاخر على الصفة ، والفرق بينه وبين التوكيد أنَّ احد المترادفين يفيد ما أفاده الأخر كالإنسان والبشر ، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول ، والفرق بينه وبين التتابع أنَّ التتابع وحده لا يفيد شيئًا ، كقولنا : عطشان – تطشان))[٣] .

وقد قال عنه الدكتور رمضان عبدالتواب (ت١٤٢٢هـ) :((الترادف ألفاظ متحدة المعنى وقابلة التبادل فيما بينهما في اي سياق)) [٤] .

إذ إنَّ الترادف ما هو إلَّا تعدد الالفاظ لمعنى واحد، أي بعبارة أخرى هو وجود اكثر من كلمة لها دلالة واحدة أو أنْ تقوم كلّ لفظة مقام الاخرى .

وهذه الالفاظ المترادفة يفسر بعضها بعضًا ؛ فهي تبديل للفظ خفي بلفظ أوضح منه توضيحًا للسائل بفرض افهامه فمثلًا : اسماء الله الحسنى مترادفة ، فلو سأل أحد عن معنى لفظ الجلالة (الله) لقلنا له هو الخالق فاذا لم يفهم لقلنا له هو الباري ، فإذا لم يفهم أتينا له بلفظ آخر مرادف له حتى يفهم ، وكذا الرحمن ، والرحيم ، والعزيز؛ فهذه الصفات كلها تدل على الله تعالى، وبذلك تكون مفسره لبعضها[٥] .

٢-أسباب كثرة الترادف :-

---

[١]- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : ٩٦

[٢]- التعريفات للجرجاني : ١٧٧/١

[٣]- المزهر في علوم اللغة : ١ /٤٠٢-٤٠٣

[٤]- فصول في فقه اللغة : ٣٠٩

[٥]- الترادف في القران الكريم – دراسة تطبيقية على الربع الاخر في الذكر المحكم(رسالة ماجستير) : ١٤

إنَّ الظاهرة وقوع الترادف وكثرتها اسباب عدة ومن أهمها :-

أ-تعدد اللهجات :-

وقد قال عنها السيوطي (ت٩١١هـ) في مقدمة حديثة عن اسباب الترادف هي:((أنْ تضع إحدى القبيلين أحد الاسمين والاخرى والاسم الاخر للمسمى الواحد، من غير أنْ تشعر احدهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان، ويخفي الواضعان، أو يلتبس وضع احدهما بوضع الأخرى))[١] .

ب- التطور اللغوي :-

إنَّ من أسباب كثرة الترادف هو التطور اللُّغوي في الالفاظ فمن ((الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الاجزاء ، وتختلف في بعضها الآخر .... فإذا مرّ عليها زمن طويل ودعت عوامل تغيّر المعاني ..... أصبحت تلك الكلمات مترادفة؛ لانّ المعاني لا تبقى على حالة واحدة فقد يصبح الخاص عامًا أو يصبح العام خاصًا))[٢] .

ج- المجازات النسبية :-

هناك بعض الألفاظ تولد نوعًا من الترادف في الكلمات، فقد تستعمل هذه الكلمات استعمالًا مجازيًا، ومع كثرة استعمالها وطول عهدها تكاد تصبح حقيقة، وأنَّ المعاني الاصلية الحقيقة هي المعاني الحسية التي يتفرع عنها عادة عن طريق المجاز فيصبح ذلك المعنى المجازي معنى حقيقي ومن ذلك الرحمة التي اشتقت من الرحم الذي هو موضع الولد والمكان الذي يولد الأبناء منه وعن طريقة تنشأ بينهم صلة من الحب والعطف، فلعلَّ الرحمة في الاصل هي عملية النسل من الأرحام ، ثم استعملت في قديم الزمان عن طريق المجاز في الصلة بين الذين يولدون من رحم واحد، وقد تقادمت العهود على هذا المعنى المجازي حتى أصبح حقيقة وبهذا نشأ الترادف بينهما وبين كلمتين الرأفة[٣] .

د- كثرة صفات المعنى :-

---

[١]- المزهر :٤٠٥/١ ، وانظر الخصائص: ٣٧٤/١

[٢]- في اللهجات العربية : ١٥٨

[٣]- ينظر – فقه اللغة :٣٠٥ –٣٠٦ ، ينظر اللهجات العربية : ١٥٩

أنَّ هناك صفات تفقد عنصر الوصفية مع مرور الزمن وتصبح أسماء لا يلحظ الكاتب أو الشاعر ما كانت عليه فيؤدي هذا الى الترادف ، وخير شاهد على ما نقول هو السيف إذ كان يمانيًا وكان هنديًا، وكان لكلّ من النوعين سمات خاصة تميز هذا من ذاك ولكن هذه السمات قد نسيت وأصبح الشاعر فيما بعد يحل لنفسه استعمال اليماني والمهند ولا يعني بها سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السيف[١] .

٣-اغفال الفوارق الدلالية بين الالفاظ:-

هناك بعض الألفاظ التي تظن أنَّها مترادفة مثل:(رمق ولحظ ورنا) فهي ليست أفعال مترادفة، وإنما كلّها دلّت على النظر وذلك أنَّ كلّ واحد يدل على حالة خاصة من النظر : فرمق يدل على النظر بمجاميع العين ، ولحظ يدل على النظر من جانب الأذن ، ورنا يفيد إدامة النظر في سكون[٢].

وهذه هي أهم أسباب نشوء الترادف في اللغة، والذي من خلالها يظهر الخلاف بينهما إذا لم يكن جوهريًا، وقد قال السيوطي (ت٩١١هـ) بعد نشوء ذكر آراء اللُّغويين في ظاهرة الترادف: ((والحاصل ان من جعلها مترادفة ينظر الى اتحاد دلالتها على الذات . ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات))[٣] .

ويمكننا تلمس ورود عدد من الالفاظ المترادفة ترادفًا تامًا أو ترادفًا غير تام في السور المفتتحة بالتسبيح وهو ما يمكن أنْ نتعرض له بالشكل الآتي :

- **جعل وخلق** : وردت هاتان الكلمتان مترادفتين في عدد من المواضع بما يظهر اتحادًا في المعنى أو تقاربًا شبه تام ، ومن المواضيع التي جاءت فيها (خلق) قوله تعالى : ((خَلَقْتَ طِينًا)) و ((عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا)) و ((اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)) وغيرها من المواضع[٤] ، وجاءت كلمة (جعل) مرادفة لهذا المعنى من الايجاد والانشاء والخلق على هيأة معينة في عدد من المواضع منها قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

---

[١]- ينظر: فقه اللغة : ٣٠٦، وينظر : اللهجات العربية : ١٥٨

[٢]- ينظر فقه اللغة : ٣٠٦

[٣]- المزهر : ٤٠٥/١

[٤]- ينظر : الإسراء : ٦١ ،٧٠، ٧١ ، ٩٩ ، والحديد : ٤ ، التغابن : ٢ ، ٣ ، والاعلى : ٢ .

آيَتَيْنِ)) و وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)) و ((فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)).

- **بعث وأرسل** : وردت هاتان الكلمتان مترادفتين بما يدل على الارسال، فقد جاءت كلمة بعث في عدد من المواضع منها:((بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا)) و:((حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)) و ((قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)) و ((بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)) وغيرها من المواضع[١]، فقد جاءت كلها بمعنى الارسال سواءً، أكان إرسال الرسل أم إرسال غيرهم وهو المعنى الذي استعمل فيه كلمة(أرسل) في عدد من المواضع منها:((سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا)) و ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا))، و((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ))، و((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ))، وغيرها من المواضع التي تدخل ضمن فعل (الارسال) لكنه إرسال مقيد بجهة معينة هي ارسال الرسل دون غيره[٢] .
- **كتب / اسفار** : تكاد الكلمتان تتفقان في المعنى بدلالتهما على (الكتب) فكلاهما يستعملان في ما يكتب[٣] ، والحقيقة أنَّ كلمة (سفر) لم ترد إلاّ في موضع واحد بهذا المعنى في السور المفتتحة بالتسبيح في قوله تعالى:((كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)) في حين وردت كلمة(كتب) بمعنى المكتوب في عدد من المواضع يضيق المقام عن حصرها[٤] ، مع ملاحظة أنَّ القرآن الكريم استعمل في السور المفتتحة بالتسبيح لفظ (الصحف) في معنى قريب من هذا حين قال((صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى))[٥] .
- **التبذير/الاسراف:** ترد الكلمتان في معنى تجاوز الحد والافراط وينحصران في الجانب السلبي من التصرف فكلاهما فعل مذموم ويكادان يدلان على معنى واحد ، فقد جاء الاسراف في قوله تعالى:((فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ))[٦]، لأي لاتكثر في القتل فقد جاء الفعل للدلالة على تجاوز الحد وهو المعنى الذي جاء عليه التبذير في قوله تعالى:((وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)) وقوله تعالى:((إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)) ،((وهو الأسراف

---

[١]- ينظر : الإسراء : ٥ ، ١٥ ، ٧٩ ، ٩٤ ، والجمعة : ٢ ، التغابن : ٧ .

[٢]- ينظر : الإسراء : ٧٧ ، ١٠٥ ، والحديد : ٢٥ ، ٢٦ ، والصف : ٩ .

[٣]-ينظر : مقاييس اللغة ، مادة (سفر) : ٦٣/٣

[٤]- ينظر : الإسراء : ٢ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٩٣ ، والحديد : ١٦ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، والحشر : ٢ ، ١١ ، والجمعة:٢ وغيرها .

[٥]- الأعلى : ١٩ .

[٦]- الإسراء : ٣٣ .

المذموم لمجاوزته للحد المستحسن من الأنفاق)).

- **رسول/نبي:** ترد الكلمتان مترادفتين مع انحصار لـ(رسول) في جهة الإرسال ولاسيما ما كان منهم يحمل كتابًا سماويًا، ولا يختصُّ النبي بهذا المعنى لذلك قيل كل رسول هو نبي وليس كل نبي رسولًا ، وقد جاءت كلمة رسول للدلالة على المعنى العام المتقدم في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح منها ((حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)) ((بَشَرًا رَسُولًابشراً)) و((مَلَكًا رَسُولًا))و ((آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ))و ((وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ)) و((شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) و((إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) ((تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ))[1] ، فالملاحظ أنَّها كانت تعني الارسال سواء أكان الرسول بشرًا أم ملكًا ، وهذا المعنى يكاد ينحصر في البشر عند استعمال كلمة نبي فقد جاءت معبرة عن هذا المعنى في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ))[2] فقد انحصر معنى النبوة بالبشر ، وقد وردت الكلمتان متعاقبتين في موضع واحد في قوله تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...))[3] للدلالة على هذا المعنى مما يدلُّ على أنَّهما ليسا متطابقين تطابقًا تامًا في الدلالة، وإنما بينهما عموم وخصوص .
- **كتب/قضى:** يؤتى بالكلمتين للدلالة على الآمر المبرم الّذي لا رجعة فيه، وقد استعملها القرآن الكريم في هذا المعنى في السور المفتتحة بالتسبيح، فقد جاء في قوله تعالى: ((وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ))[4]، وقوله تعالى:((وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا))[5]، فدلت على معنى الحتم وهو المعنى المقارب لاستعمال (قضى) في قوله تعالى:((وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ))[6]، و ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ))[7] فكان استعمال الكلمتين دائرًا في فلك الحتم والابرام، وهو الأمر الذي اشارت

---

[1]- ينظر : الإسراء : ١٥ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، والحديد : ٧ ، ٨ ، والحشر : ٤ ، ٦ ، ٧ ، الصف : ٦ ، والجمعة : ٢ ، والتغابن : ٨ ، ١٢ وغيرها .

[2]- الإسراء : ٥٥ .

[3]- الحج : ٥٢ .

[4]- الحديد : ٢٧ .

[5]- الحشر : ٣ .

[6]-الإسراء : ٤ .

[7]- الإسراء : ٢٣ .

اشارت اليه المعاجم العربية[١] .

- **نخلة/لينة:** تستعمل الكلمتان مترادفتين وانْ كان لكلمة (لينة) بعض خصوص في أنَّها ضرب من النخل[٢]، وقد جاءت الكلمتان في السور المفتتحة بالتسبيح ، إذ قال تعالى: ((أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ))[٣]، وقال تعالى ((مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا))[٤]، فقد جاءت في التفاسير أنَّ اللينة هي النخل أو هي ضرب من النخل[٥] فهي كرام النخل[٦]، أو أنَّها تدل على النخلة الناعمة[٧] ومن ثم فالكلمتان واقعتان في الحقل الدلالي الواحد .
- **الشح/البخل:** تستعمل الكلمتان في الامتناع عن العطاء[٨] وإن كان ثمة فوارق بينهما لكنها على الاجمال يؤديان معنى الامتناع ، وقد جاء بهذا المعنى في السور المفتتحة بالتسبيح كقوله تعالى: ((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ))[٩] وقوله تعالى: ((الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ))[١٠] ، ولعلَّ الملاحظ هنا استعماله (الشح) مع ما هو معنوي (النفس) في حين استعمل(البخل) مع منع العطاء المادي .
- **يبتغون/يريدون:** تستعمل الكلمتان بمعنى قصد الشيء أو طلبه[١١] وقد جاءتا في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع منها قوله تعالى:((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ))[١٢]، و((وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ))[١٣]، و((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ))[١٤] وغيرها من المواضع

---

[١]- ينظر : مقاييس اللغة : مادة (قضي) : ٨٢/٥

[٢]- ينظر : لسان العرب : مادة (لين) : ٣٩٤/١٣

[٣]- الإسراء : ٩١ .

[٤]- الحشر : ٥

[٥]- ينظر : مجمع البيان : ٣٨٧/٩ ، والميزان : ١١٣/١٩ .

[٦]- ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٥٤٦/٩

[٧]- ينظر : مفردات غريب القرآن : ٤٥٧/١

[٨]- ينظر : مقاييس اللغة : (مادة بخل) : ٢٠١/١ ، و(مادة شح) : ١٣٨/٣ .

[٩]- الحشر : : ٩ ، والتغابن : ١٦ .

[١٠]- الحديد : ٢٤ .

[١١]- ينظر : لسان العرب : (مادة بغي) : ٧٥/١٤ ، و(مادة رود) : ١٨٧/٣ .

[١٢]- الإسراء : ١٨ .

[١٣]- الإسراء : ١٩ .

[١٤]- الصف : ٨ .

التي كانت تحمل معنى قصد الشيء أو طلبه، وهو المعنى الذي جاء عليه الابتغاء في قوله تعالى: ((يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ))[١]، وقوله تعالى:((يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا))[٢]، وقوله تعالى:((لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا))[٣]، وغيرها من المواضع[٤] المواضع[٤]

- **ذرية/أولاد:** تستعمل الكلمتان في معنى واحد يتصل بما يعقب الانسان بعده من نسله وإنْ كان بينهما عموم وخصوص، إذ تكون الذرية على الأولاد وبنات ولكنه للتغلب قد يطلق الذرية على الأولاد، وقد وردتا بهذا المعنى في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع كقوله تعالى:((ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ))[٥]، و((وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فالحقيقة إن النبوة منحصرة في الأولاد ومن ثم قوّى كونها في معناها .

أمَّا أولاد فقد جاءت في عدد من المواضع منها:((وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ))[٦] والحقيقة أنَّ الشيطان يشاركهم في البنين والبنات، وليس في الذكور فقط مما وسع من دائرة الدلالة وليس ببعيد من هذا قوله تعالى:((وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ))[٧]، أو قوله تعالى: ((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ))[٨]، أو قوله تعالى:((نَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ))[٩]، فكأنه استعمل الأولاد في هذه النصوص بمعناه الأوسع المقارب للذرية .

إنَّ المتفحص للآيات القرآنية في السور المفتتحة بالتسبيح يمكن أنْ يظفر بعدد من المترادفات التي يضيق المقام عن التفصيل فيها هنا، فقد ورد من الكلمات التي يمكن تعد من الترادف كلمات (الشيطان/ابليس)[١٠]، و(يتبروا/يدمروا)[١١]، و(اسعوا/امشوا)[١]،

---

[١]– الإسراء : ٥٧ .

[٢]–الحشر : ٨ .

[٣]– الإسراء : ٤٢ .

[٤]– ينظر : الإسراء : ٦٦ ، ١١٠ ، الحديد : ٢٧ ، الجمعة : ١٠ .

[٥]– الإسراء : ٣

[٦]– الإسراء : ٦٤ .

[٧]– الحديد : ٢٠ .

[٨]–التغابن : ١٤ .

[٩]– التغابن :" ١٥

[١٠]– ينظر : الإسراء : ٢٧ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٤ ، والحشر : ١٦ .

[١١]– ينظر : الإسراء : ١٦ ، الحشر : ٧ .

و(خلاف/بعد/وراء)[٢]، و(ظهيرا/نصيرا)[٣]، و(خشية/خوف)[٤] وغيرها مما يتقارب في الدلالة الى حد يصعب التمييز بينها، ولكنني هنا لا أجزم بالترادف التام فيها؛ إذ لربما كان معظمها دائرًا في حيز المعنى الأساسي أو علاقات العموم والخصوص أصوات غيرها لكنها تبدو للقارئ بوصفها مترادفات .

ثانيًا: المشترك اللفظي :-

تُعدُّ ظاهرة الاشتراك اللفظي من الظواهر التي تدل على سعة اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن المعاني المختلفة والدقيقة فضلًا عن أنَّها تشرح العلاقات بين الكلمات في اللغة الواحدة .

الاشتراك لغة :-

((الشين والراء والكاف أصلان : احدهما : يدل على مقارنةٍ وخلافِ انفرادٍ ، والآخر : يَدلُّ على امتداد واستقامة .

فالأوّل الشِرْكة ، وهو أنْ يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ، ويقال : شاركت فلانًا في الشيء ، إذا صرت شريكه ، وأشركت فلانًا ، إذا جعلته شريكاً لك .

وأمَّا الأصل الاخر فالشَّرَك:((لَقَمُ الطريقِ، وهو شراكة أيضًا، وشراك النّعل مشبّه بهذا، ومنه شرَكَ الصائد، سمي بذلك لامتداده))[٥] .

ويقال ((الشِرْكة والشَّرِكة سواء : مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى : تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان ، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر .... وشاركت فلانًا : صرت شريكه ، واشتركنا وتشاركنا في كذا ، وشركته في البيع والميراث .... قال ورأيت فلانًا مشتركًا ، إذا كان يحدث نفسه أنَّ رأيه مشترك ليس بواحد))[٦]

---

[١]- الحديد : ١٢ ، الجمعة : ٩

[٢]- الإسراء : ١٧ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، والحديد : ١٠ ، ١٣ ، ١٧ ، والحشر : ١٠ ، ١٤ ، والصف : ٦

[٣]- الإسراء : ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٧٥ ، ٨٠ .

[٤]- الإسراء : ١٠ ، ٣١ ، ٦٠ ، والحديد : ٢١ .

[٥]- معجم مقاييس اللغة (مادة شرك) : ٢٠٥/٣

[٦]- لسان العرب مادة (شرك) : ٤٤٨/١٠

وايضاً:((الشِرك والشُركة ، بكسرهما وضم الثاني بمعنى واحد ، وهو مخالطة الشريكين ، والشرك أي: الاشتراك في الارض وهو أنْ يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك ، وقد اشتركا وتشاركا وشارك احدهما الآخر والاشتراك هنا بمعنى التشارك))[١]

الاشتراك اصطلاحًا :-

يُعدُّ سيبويه(ت١٨٠هـ) أوّل من أشار إلى ظاهرة الاشتراك في باب اللفظ للمعاني حيث قال:((اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .... نحو قولك وجدت عليه من الموجودة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة .واشباه هذا كثير))[٢]

وجاء ايضًا في معنى الاشتراك ((أن اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر كقوله جل ثناؤه (فاقذفيه في اليم فليلفه اليم الساحل) فقوله (فليلفه) مشترك بين الخبر وبين الأمر كأنّه قال: فاقذفيه في اليم يلقه اليم ومحتمل أنْ يكون اليم أمر بإلقائه))[٣]

أمَّا السيوطي (ت٩١١هـ) فقد ذكر المشترك اللفظي عند الأصوليين حيث قال:((هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند اهل اللغة))[٤]، وقيل هو:((اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى))[٥]

اسباب نشوء المشترك اللفظي :-

إنَّ لنشوء المشترك اسبابًا واهمها :-

١- اختلاف اللهجات :-

إنَّ بعض أمثلة المشترك جاءها الاشتراك من اختلاف القبائل العربية في استعمالها ، ثم جاء جامعو المعجمات فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض من دون أنْ يعنوا

---

[١]- تاج العروس – مادة (شرك) ٩١/١٣

[٢]- كتاب سيبويه: ٢٤/١

[٣]- الصحابي في فقه اللغة العربية: ٢٦١/١-٢٦٢

[٤]- المزهر : ٣٦٩/١

[٥]- علم الدلالة : ١٤٧

بالاختلاف اللهجي وارجاعه إلى القبيلة التي كانت تستعمله[١]، ومن ذلك ما جاء في كلمة (الألفت) فقد روي أنَّ قبيلة تميم تطلق عليه الأعسر، أمَّا قبيلة قيس فكانت تطلق عليه الاحمق[٢] .

٢- التطور اللغوي :-

وقد تكون هناك كلمتان كانتا في الاصل مختلفتين في الصورة والمعنى ، ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما ، فاتفقت لذلك مع الاخرى في أصواتها . وهكذا اصبحت الصورة التي اتحدت اخيرًا مختلفة المعنى، أي صارت لفظة واحدة ، مشتركة بين معنيين أو اكثر[٣]، ويكون ذلك عن طريق الحذف والزيادة أو القلب المكاني أو الابدال[٤] .

فمن القلب المكاني دام ودمى أنَّ (دام) في باب استفعال : استدام ، ويستعمل بمعنى استدمى ، ومنه خطأ وخاط، وبقلب خطأ الى خاط صار من الاشتراك اللفظي[٥] .

٣-الاستعمال المجازي :-

قد لا يكون الاستعمال المجازي مقصودًا متعمدًا ، كما نراه أحيانًا في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل يقع من عدة أفراد في البيئة اللُّغوية في وقت واحد من دون مواضعة أو اتفاق بينهم ، فالناس في لغةِ تخاطبهمِ يلجؤون إلى المجازات لتوضيح معانيهم وإبرازها في صورة جلية ، دون أنْ يعمدوا إلى هذا عمدًا ، أو يرغبوا في إظهار براعة في الكلام فكما تعودوا أنْ يقولوا رأس الانسان ، قد يقولون أيضًا (رأس الجبل و رأس النخلة ثم أخيرًا رأس الحكمة؛ ولا يعنون بكلمة (رأس) في كلِّ استعمال من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كلِّ شيءٍ وإنْ اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها[٦] .

٤-اقتراض الالفاظ من اللغات الاخرى :-

---

[١]- ينظر : فقه اللغة : ١٤٧

[٢]- ينظر: فصول في فقه اللغة : ٣٣٠

[٣]- ينظر :المصدر نفسه : ٣٣٢

[٤]- ينظر : فقه اللغة : ١٩٢

[٥]- ينظر: دراسات في فقه اللغة : ٣٠٤

[٦]- ينظر : في اللهجات العربية : ١٦٧

قد تكون اللفظة المفترضة تشبه في لفظها كلمة عربية ، لكنها ذات دلالة مختلفة[١] . كما في العربية الفصحى في كلمة (الحب) بمعنى (الوداد) وهو حب الشيء وفيها كذلك الحِب الجرة التي يجعل فيها الماء والمعنى الأول عربي أصيل، أمَّا الثاني فهو فيها مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تمامًا للفظ العربي[٢] .

وسأحاول هنا أنْ أتتبع عددًا من المفردات المشتركة التي جاءت في السور المفتتحة بالتسبيح من أجل الوقوف على الاستعمال اللُّغوي لها، وسبل فك الاشتراك الدلالي فيها .

لقد جاء عدد من الالفاظ المشتركة في السور المفتتحة بالتسبيح ولعلَّ من أوضح هذه الالفاظ المشتركة ما يأتي :

- قوله تعالى:((وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ))[٣] فالقسطاس صالح لمعنيين هما العدل وآلة الوزن، ولكنها جاءت هنا بمعنى آلة الوزن، لأنَّها جاءت مع لفظة ((زنوا)) عما يقرب أنْ يكون المراد فيها شيئًا ماديًا وهو الميزان، ولكنّه لا يخلو من احتمال معنى العدل فيها [٤] .

.

- قوله تعالى:((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ))[٥] فالدلوك هو الزوال أو هو ميل الشمس، وهو من أحوال الشمس، فورد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي ، وورد بمعنى ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر وورد بمعنى غروبها فصار لفظ الدلوك مشتركًا في المعاني الثلاثة [٦] ، وقيل فيه أنَّه الزوال والميل والغروب ، وقيل أصله منِ دَلْكِ العين عند النظر الى الشمسِ[٧] .
- قوله تعالى ((وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ))[٨]، فالشهيد دائرٌ بين أكثر من معنى منها كونهم شهداء على أممهم يوم الجزاء ، ويجوز أنْ يكون مؤمنو هذه الأمّة شهداء على

---

[١]- فصول في فقه اللغة : ٣٣١

[٢]- المصدر نفسه :٣٣١

[٣]- الإسراء : ٣٥

[٤]- ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ٩٨

[٥]- الإسراء : ٧٨ .

[٦]- ينظر : التحرير والتنوير : ١٤/ ١٨٢ ، والامثل : ٣٦٤/٧ .

[٧]- ينظر : الميزان : ٩٣/١٣

[٨]-الحديد : ١٩ .

الأمم، ومنها كون اللفظ مستعملًا على سبيل الحقيقة الشرعية التي وصفها الشارع من كون لفظ الشهداء يدلُّ على من استُشهد في سبيل الله، واللفظ محتمل المعنيين[١] والسياق يحتملهما .

-قوله تعالى:((فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ))[٢]، فإنَّ اسم الله (حميد) صالح للحمل على معنيين فيمكن أنْ يقصد منه أنَّه كثير الحمد فيكون من أمثلة صيغ المبالغة؛ لأنّ الله يثيب على فعل الخير ثوابًا جزيلًا ويثني على فاعله ثناءً جميلًا، ومن ثم فهو كثير الحمد على معنى الفاعلية، ويمكن على معنى (محمود) أي: على معنى المفعولية فيكون فعيل بمعنى مفعول وهو الى المجاز العقلي هنا أقرب لعلاقة (المفعولية) فيه[٣] .

- قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ))[٤] فقد ورد فيه لفظان يحتملان الاشتراك اللفظي وهما (كفروا) و(الحشر) أمَّا الكفر فهو مردّدٌ بين أكثر من معنى منها (التغطية والتقليب والزراعة) ومنها مخالفة دين التوحيد وأوامر الله سبحانه وتعالى بأنْ يعبدوا غير الله تعالى .

وأمَّا (الحشر) فإنّ له أكثر من معنى منها التوجيه الى ناحية ما، وقيل أنَّه جاء هنا للدلالة على إخراج بني النظير، وقيل أنَّه حشر رسول الله (ص) الكتائب لقتالهم وغيرها من الآراء التي جعلت هذين اللفظين دائرين في اكثر من معنى .

- قوله تعالى:((الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ))[٥]، فالمهيمن جاءت هنا بمعنى الشهيد والأمين عند بعضهم[٦] ، وبمعنى الرقيب والحافظ عند غيرهم[٧]، ومن ثم فهي دائرة في أكثر من معنى لذلك عُدت من المشترك اللفظي، وقيل في دلالته معانٍ أُخر لا يسع المقام للتفصيل فيها[٨] .

.

---

[١]-ينظر : التحرير والتنوير : ٣٩٧/٢٧ .

[٢]-الحديد : ٢٤ .

[٣]- ينظر : الميزان : ٩١/١٩ ، والتحرير والتنوير : ٤١٤/٢٤ .

[٤]-الحشر : ٢ .

[٥]-الحشر : ٢٣ .

[٦]-جامع البيان : ٥٥٣/٢٢ .

[٧]-ينظر : التحرير والتنوير : ١٢١/٢٨ .

[٨]- ينظر : مجمع البيان : ٣٩٩/٩

- قوله تعالى ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى))[١]، فالفلاح هنا مردّدٌ بين أكثر من معنى منها الفوز ومنها النفع والظفر بالمبتغى من الخير[٢]، وقيل هو بمعنى البقاء[٣] ليلائم معنى الخلود في في الجنة.
- قوله تعالى ((وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى))[٤] فقد احتمل (قدر) معنيين هما التقدير والقدرة[٥] فقيل إنّ قدّر بمعنى قدِر وكلا المعنيين حسن[٦] .

ثالثًا : الاضداد

تُعدُّ الاضداد من ظواهر اللُّغة التي تتصل بالعلاقات الدلالية بين الكلمات مثل المشترك اللفظي والترادف وتنفرد اللُّغة العربية وبعض اللغات السامية دون اللغات الاخرى بوجود ظاهرة التضاد حتى أنَّ بعضَ علماءِ المعاجمِ المعاصرين لم يجد مثالًا يوضح هذه الظاهرة إلاّ مِنِ اللغة العربية[٧] .

الاضداد لغة

أنَّ ((الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس فالأولى : الضِّدّ ضِد الشيء و المتضادّان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار ، والكلمة الاخرى الضَّدّ ، وهو الملء بفتح الضاد يقال ، ضدّ القربة ملأها ضدّا)) [٨] .

ويقال :((الضدّ) و (الضديد) واحد (الأضداد) وقد يكون (الضدّ) جماعة قال الله تعالى ((وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا)) وقد (ضادّة مضادّة) وهما متضادان ويقال : لا ضدّ له ولا ضديد أي: لا نظير له ولا كفء له[٩] .

أمَّا ما جاء في لسان العرب فإن الضد هو :((الضد كلّ شيءٍ ضاد شيئًا ليغلبه ، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة والليل ضد النهار))[١] .

---

[١]- الأعلى : ١٤ .

[٢]- ينظر : التحرير والتنوير : ٢٨٧/٣٠ .

[٣]-ينظر : مقاييس اللغة : مادة (فلح) : ٣٥٩/٤.

[٤]-الأعلى : ٣

[٥]- ينظر : مقاييس اللغة : مادة (قدر): ٥١/٥ .

[٦]- ينظر : مجمع البيان : ٢٩٣/١٠

[٧]- ينظر : الاضداد : ١

[٨]- معجم مقاييس اللغة – مادة (ضد) : ٥٧٤

[٩]- مختار الصحاح : ٣٧٨ .

و((الضد بالكسر كلّ شيء ضاد ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والضديد المثل وجمعه اضداد، ويقال لا ضدّ له ولا ضديد له. أي: لا نظير له ولا كفء له[٢] .

الاضداد اصطلاحًا :

أنَّ ((الاضداد : هو جمع (ضدّ) فهو نوع من العلاقة بين المعاني بل وربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى ، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد فعلاقة الضديين من أوضح الاشياء في تداعي المعاني))[٣] .

ويعرّف كذلك:((بأنه اطلاق اللفظ على المعنى وضده ، فهو نوع من المشترك اللفظي، وليس العكس وضده في اللغة النظير والكفء والجمع اضداد))[٤] .

وقيل فيه:((هي: الالفاظ التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤديًا معنيين مختلفين))[٥] .

أمَّا ابن فارس(ت٣٩٥هـ) فقد قال:((إنَّ من سنن العرب إنْ يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود، والجون للأبيض وقد أنكر ناس هذا المذهب وأنَّ العربَ تأتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء، وذلك أنَّ الذين رووا انَّ العرب تسمّي السيف مهندًا أو الفرس طرفًا هم الذين رووا أنَّ العرب تسمي المتضادين باسم واحد))[٦] .

أسباب نشوء التضاد :-

إنَّ العلماء يرون أنّ نشوء التضاد له أسباب عدة أهمها :

١- اختلاف اللهجات :-

---

[١]- لسان العرب : (مادة ضد): ٣٤/١

[٢]- تاج العروس : مادة (ضد) : ٧٣ .

[٣]- العربية وعلم اللغة الحديث : ١٩٣

[٤]- المصباح المنير : ٢٥/١

[٥]- الاضداد .: ١

[٦]- الصحابي في فقه اللغة : ٩٧ – ٩٨ .

يُعدُّ هذا السبب وجيه في تقدير الدلالة اللُّغوية اذ ليس من المعقول أنَّ قومًا ما يضعون لفظة واحدة تدل على معنى معين ثم يضعونه ليدل على ضده، وقد أوضح هذا السبب ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ) حين قال:((إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أنْ يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب والمعنى الاخر لحيّ غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، و هؤلاء عن هؤلاء قالوا : فالجون : الأبيض في لغة حيّ من العرب والجون: الأسود في لغة حيّ آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر، كما قالت قريش: حسِب بحِسب ..... أخذوا بحسب بكسر السين في المستقبل عن قوم من العرب يقولون: حسَب يحسِب فكأن حَسب من لغتهم في أنفسهم أو بحسِب لغة لغيرهم سمعوها فتكلموا بها ولم يقع أصل البناء على فِعل يفعِل))[١] .

٢- الاستعمال المجازي :-

أنَّما يراد من الاستعمال المجازي هو الأتساع في دلالة الالفاظ الحقيقة والانتقال منها إلى معان مجازية لعلاقة تربط بين المعاني، وأنَّ هذا الاتساع قد يصل الى درجةِ الضديةِ، ولمّا كثر استعمال الالفاظ لمعانيها الجديدة لفترة طويلة، وبذلك فأنَّ اللفظ الاصلي قد نسي فعدّت من الاضداد[٢] .

٣- الابهام في المعنى الاصلي وعمومه :-

((قد يؤدي إلى التضاد أنَّ المعنى الأصلي للكلمة يكون عامًا غير محدود ثم يتحدد معناه مع الزمن، ولكن في تطوره وتحدد معناه قد يتخذ طريقتين متضادتين ويترتب على هذا أنْ نجد الكلمة الواحدة يتخصّص معناها في لهجة من اللهجات بشكل خاص يضاد الشكل الذي اتخذته الكلمة في لهجة أخرى، وخبر مثل لهذا قصة الملك الذي قال للأعرابي ((ثب)) يريد اجلس فوثب الأعرابي ودق عنقه، لأنه لم يكن يعرف معنى لـ(وثب) إلاّ طفر))[٣] .

٤- التفاؤل والتشاؤم والتهكم :

((إنَّ التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التعبير إلى حد كبير، فإذا شاء المرء التعبير عن معنى سيء، تشاءَم من ذكر الكلمة الخاصة به وفر منها

---

[١]- الاضداد: ١٢-١٢

[٢]- ينظر: الاضداد : ٨

[٣]- في اللهجات العربية : ١٨٢

إلى غيرها فجميع الكلمات التي تعبر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث يفرّ منها الانسانُ، ويكنّى عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير))[١] .

٥- التطور اللغوي :-

قد يحدث في بعض الأحيان وجود كلمتين مختلفتين لهما معنيان مختلفان فيحدث تطور في صوت احدى الكلمتين بصورة تجعلها تنطبق على هيكلية الكلمة الاخرى نفسها ، ومن خلال هذا التطور تبدو الكلمتان متشابهتين في اللفظ، ولكنّهما تحملان المعنى وضده[٢] .

وسأحاول أنْ أتعرض لعدد من الالفاظ التي جاءت في السور المفتتحة بالتسبيح وتحتمل معنى التضاد مع الالتفات الى ان الالفاظ المتضادة بشكل عام أقل ورودًا من الالفاظ المترادفة أو المشتركة مع الانتباه الى أنها في النصوص المستشهد بها قد انصرفت الى معنى محدد بحسب السياق فلم يعد بالإمكان حملها على المعنيين المتضادين وانما صرفت الدلالة فيها الى معنى محدد ، ويمكنني الوقوف على عدد من الالفاظ المتضادة وهي كالآتي:-

- **تولى:** تحتمل هذه اللفظة معنيين متضادين هما النصرة وترك النصرة لذلك حملت كلمة (أولى لك فأولى) على الشتم[٣]، وقد جاءت هذه اللفظة في قوله تعالى:((وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ))[٤]، فقد جاءت بمعنى ترك النصرة هنا لذلك أردفها بقوله ((ثم لاينصرون)) وقريب من هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى ((فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا))[٥] وقوله تعالى ((فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))[٦]، فهي في الموضعين جاءت بمعنى ترك الموالاة والنصرة، ولكن هذا الجذر اللغوي (ولي) جاء بمعنى النصرة أو ما يدور في حقلها الدلالي في قوله تعالى: ((إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ))[٧] أو

---

[١]- فصول في فقه اللغة : ٣٤٥

[٢]- ينظر : المصدر نفسه : ٣٥١

[٣]- مقاييس اللغة : مادة (ولي) : ١٠٨/٦

[٤]- الحشر : ١٢ .

[٥]- التغابن : ٦

[٦]- التغابن : ١٢

[٧]- الجمعة : ٦

قوله تعالى: ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ))[١]، فقد جاءت في الموضعين بمعنى الناصر .

- **ظنوا** : تحتمل هذه اللفظة معنيين متضادين هما (اليقين) و (الشك)[٢] فقد جاءت بمعنى الاعتقاد (اليقين) في محادثة موسى(ع) وفرعون أذ قال تعالى :((إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا))[٣] و ((وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا))[٤] فكلا الفعلين (أظن) جاءا للدلالة على على الاعتقاد التام وليس على الشك، فلم يكن عند موسى (ع) شك في عاقبة فرعون ولم يكن عند فرعون شك في أنَّ موسى (ع) مسحور ، ولعله المعنى القريب أيضًا في قوله تعالى: ((مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ))[٥] .
- **الفوز**: يحتمل الفعل (فاز) معنيين متضادين هما (النجاة) و(الهلكة)، فالأولى قولهم فاز يفوز إذا نجا والثانية قولهم فوّز الرجل إذا مات[٦] وقد استعملت في السور المفتتحة بالتسبيح في موضعين بمعنى الظفر (وهو من معاني النجاة)، فقد قال تعالى ((ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٧]، وقال تعالى ((ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٨]، وكلا الموضعين في بيان خلود خلود المؤمنين في الجنان مما يعني انحصار الدلالة هنا في حقل النجاة وليس الهلكة .
- **زعم** : يحتمل الفعل (زعم) معنيين بينهما تضاد غير ظاهر فهو يدل على القول عن غيّر صحة ولا يقين ويدلُّ أيضًا على التكفل بالشيء ، وهو معنى يمكن حمله على التثبت والقول المؤكد على خلاف المعنى الأول وقد جاء على معنى عدم التثبت في موضعين يخاطب بهما بني إسرائيل للدلالة على كذب ادعائهم فقد قال تعالى:((قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ))[٩]، مما يدلُّ على استعمال الفعل في حقل الادعاء غير الصحيح .
- **تهجد**: يحتمل الفعل (هجد) معنيين متضادين هما السهر والنوم فالهاجد هو النائم

---

[١]-الإسراء : ١١١

[٢]- ينظر: مقاييس اللغة : ٣٦١/٣

[٣]- الإسراء : ١٠١ .

[٤]-الإسراء : ١٠٢

[٥]- الحشر : ٢

[٦]-ينظر : مقاييس اللغة : مادة (فوز) : ٣٦٧/٤

[٧]-الحديد : ١٢ .

[٨]-الصف : ١٢

[٩]- الجمعة : ٦ .

والهاجد هو الساهر[١]، ومنه (المتهجد) وقد جاء في قوله تعالى: ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ))[٢]، فاستعمل هنا بمعنى السهر وعدم النوم، لأنَّه أمر بالقيام في الليل وهو من لوازمه لوازمه السهر .

- **خفي** : للفعل (خفي) أصلان متضادان فالأول الستر والثاني الاظهار[٣] وقد جاء هذا الفعل في قوله تعالى: ((إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى))[٤] فاستعمل الفعل هنا للدلالة على الستر بدلالة استعماله متقابلًا مع (الجهر) ومن ثم لا يجوز حمله هنا على الاظهار[٥] وقريب من هذا قوله تعالى ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا))[٦] فاستعملها في قبالة الجهر .
- **يرجعون:** يحتمل الفعل (رجا) معنيين متضادين هما (الامل) والخوف[٧]، وقد جاء في قوله تعالى:((وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ))[٨]، فلما كان استعمالها في باب الرحمة كان دلالتها منحصرة بالأمل فهم يأملون رحمته[٩] ، ومن الجدير بالذكر أنَّها حملت على معنى الخوف في قوله تعالى ((مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا))[١٠]، بمعنى لا تخافون له عظمة وتبالون لأمره[١١] .
- **تعفو** : يحتمل الفعل (عَفَو) معنيين متضادين فهو أصلان يدل أحدهما على ترك الشيء والآخر على طلبه ، وقد جاءت في السور المفتتحة في عدد من المواضع منها قوله تعالى ((وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[١٢]، فقد استعملت هنا بمعنى

---

[١]-ينظر : مقاييس اللغة : (مادة هجد): ٢٥/٦ ، ولسان العرب (مادة هجد): ٤٣١/٣ .

[٢]- الإسراء : ٧٩ .

[٣]-ينظر : مقاييس اللغة : مادة (خفي): ١٦٣/٢ .

[٤]-سورة الأعلى : ٧

[٥]- ينظر : البحر المحيط : ٤٥٤/٨ .

[٦]- الإسراء : ١١٠

[٧]- ينظر : مقاييس اللغة (مادة رجى) : ٤١١/٢

[٨]- الإسراء : ٥٧ .

[٩]- ينظر : الميزان : ٩٣/١٣ .

[١٠]- نوح : ١٣ .

[١١]- ينظر : الميزان : ١٧/٢ .

[١٢]- التغابن : ١٤

ترك المعاقبة .

ويبدو لي بعد هذا التفحص لألفاظ الاضداد وورودها في القرآن الكريم أنَّها لم تأتِ محتملة المعنيين المتضادين معًا، وإنما قد صرفت إلى جهة من الجهتين بحسب السياقات الواردة فيها ، فالسياق محدد دلالي له الأثر الكبير في تحديد الدلالات .

المبحث الثاني :- الانتقال بين اللازم و الملزوم

أوّلًا : المجاز :

المجاز لغة مشتق من الجواز الذي يعني هو التعدي والعبور فقد جاوزت الموضع جوازًا بمعنى جزته والمجاز والمجازة : الموضع[١] .

فالمجاز:((اسم للمكان الذي يجاز منه كالمعاج والمزار واشتباههما وحقيقته هي الانتقال من مكان الى مكان واخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الالفاظ من معنى إلى اخر))[٢] .

ويعد المجاز وسيلة فنية لإثراء الدلالة وزيادة القوة التعبيرية على مستوى التركيب [٣] ويمكن تعريفه بأنّه: ((اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب العلاقة مع قرينة مانعة من ادارة المعنى الوضعي والعلاقة هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي))[٤] .

وأفضل من عرف المجاز من القدماء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله:((وأمَّا المجاز فكلّ كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول))[٥] .

وقال ايضًا هو:((كلّ كلمةٍ جزت بها ما وضعت له في وضع الواضع إلى مالم توضع له من غير أنْ تستأنف فيها وضعًا الملاحظة ما تجوز بها اليها بين أصلها الذي وضعت له في واضعها))[٦].

ويعد المجاز من الوسائل البيانية التي تسهم في إيضاح المعنى إذ به يخرج المعنى متصفًا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع لهذا أتسعت العرب بالمجاز وآثرته على

---

[١]- ينظر : اللسان (جوز) : ٣٢٦/٥

[٢]- فنون بلاغية : ٨٩

[٣]- ينظر : في البنية والدلالة : ١٨٣

[٤]- علم البيان: ١١٧-١١٨

[٥]- اسرار البلاغة : ٢٥١

[٦]- المصدر نفسه : ٢٥٢

الحقيقة في الاستعمال لميلها إلى الاتساع في الكلام وإلى الدلالة على كثرة معاني الالفاظ ولما فيه من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحية [١] .

ولهذا يكاد يجمع الذين تعرضوا لدراسة الحقيقة والمجاز على أن المجاز أبلغ من الحقيقة لما فيه من خيال وجمال وتصوير [٢] .

وقد قال ابن رشيق(ت٤٥٦هـ) : ((المجاز في كثير من الكلام ابلغ من الحقيقة واحسن موقعا في القلوب والاسماع))[٣] .

اما ابن الاثير(ت٦٣٠هـ) فقد قال عن المجاز: ((اعلم ان المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل أولى منه وليس الامر كذلك لأنَّه قد ثبت وتحقق أنَّ فائدة الكلام الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانًا))[٤] .

ولقد قال العلوي(ت٧٩٤هـ):((إذا عبر عن المعنى باللفظ الدال على الحقيقة حصل كمال العلم به من جميع وجوهه وإذا عبر عنه بمجازه لم يعرف على جهة الكمال فيحصل مع المجاز تشوق الى تحصيل الكمال فلا جرم كانت العبارة بالمجازات اقرب الى تحسين الكلام وتلطيفه))[٥] ومن ثم كان المجاز سلوكًا لغويًا آخر للوصول الى حقائق الأشياء وكأنه وكأنه يمثل انتاجًا جديدًا للدلالات ((فالمعاني الجديدة في عملية ابتداعها ل ايمكن ادراك حقائقها الا بالتعبير عنها والتصوير اللفظي لها والمجاز خير وسيلة للتعبير عن ذلك بما يضيفه من خرائق وما يضيفه من علاقات لغوية جديدة توازن بين المعاني والالفاظ))[٦] .

---

[١]- ينظر : الطراز : ٨٢/١

[٢]- ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٥٢

[٣]- العمدة : ١٧٨/١

[٤]- المثل السائر : ١٣٦/١

[٥]- الطراز : ٨٢/١

[٦]- جواهر البلاغة : ٢٦٠

فلا شك أنَّ المجاز أثره الكبير في توضيح الفكرة أو التجربة وقي تزيين الصورة التي يعبر بها عن التجربة لأنه في حقيقته تشبيهات وأخيلة و صور مستعارة و اشارات ترمز إلى الحقيقة المجردة بالأشكال المحسوسة [١] .

ولقد قاس ابن الاثير الالفاظ بمدى ايحائها واثارتها لخيال السامع ورأى ان الايحاء يتحقق في اللفظ المجازي [٢] ، لأن استعمال الالفاظ في معان مجازية هو الذي يكسبها في الغالب تلك الايحاءات فضلًا عن أنه هو الذي يعطيها القدرة على تحريك خيال السامع واثارة الاحاسيس والانفعالات المختلفة عند السامع [٣] .

لذلك نرى الذائقة الادبية تضيق بالصور التقريرية أمّا المعنى المجازي فيكسب الصور الأدبية رونقًا ويكسوها جمالًا ورفعة فتنجذب اليها النفوس وهو إلى جانب ذلك يفتح آفاقًا واسعة في التعبير أمام الأديب يستطيع فيها خياله أن يصول ويجول بحيث تكون أمامه سبلٌ متعددة يستطيع أن يعبر بها عن التجربة الواحدة أو يصور بها الفكرة الواحدة فينطلق خياله لا تحده حدود فيصور المعقول محسومًا والمنظور مسموعًا والمسموع منظورًا و كل ذلك عناصر إيحاء يوظفها الأديب في نقل عاطفته أو تجربته إلى المتلقي [٤] .

والمجاز نوعان عقلي ولغوي فالعقلي ما استفيد عن طريق العقل وايحاءات الفطرة أمَّا اللغوي فهو ما استفيد عن طريق اللغة وحركات اللسان [٥] .

تكاد المعجمات العربية تتفق على معنى متقارب لكلمة (المجاز) لأنها تخص فيها معينين قريبين يتعلقان بالطريق وهما قطع الطريق و الموضع المقطوع فضلًا عن معنى الوسط في الاشياء ولكنه في معنى قطع الطريق وتجاوزه ألصق [٦] .

أما في الاصطلاح فهو دائر في نقل الالفاظ من محل الى محل لذلك قالوا فيه أنَّه ((كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واصفها لملاحظة بين الثاني والأول))[٧]، وقيل

---

[١]- ينظر :الصور البيانية :٢٢٠

[٢]- ينظر : المثل السائر : ١٣٦/١

[٣]- ينظر : النقد اللغوي عند العرب :٢٣٦

[٤]- ينظر : الصور البيانية : ٢٢١

[٥]- ينظر :اصول البيان العربي : ٤١

[٦]- مقاييس اللغة :مادة (جوز): ٤٣٩/١ ، معجم الوسيط مادة (جوز): ٣٠٦/١ .

[٧]- اسرار البلاغة : ٣٢٥ .

فيه أيضًا استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة بين المعنيين مع قرينة مانعة من ايراد (المعنى الحقيقي)[١] وقيل فيه: ((الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالًا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن أرادة معناها في ذلك النوع))[٢] .

ومن هنا ينبني المجاز على أربعة أركان هي المعنى الحقيقي و المدلول المجازي و العلاقة بين المعنيين و القرينة المانعة ومن ثم فهو قسمان، إذ يكون مجازًا في الكلمة المفردة ويسمى (اللغوي) أو قد يكون في الجملة ويسمى (العقلي) ويقسم المجاز اللغوي على قسمين بحسب العلاقة بين المعنيين فإنما كانت العلاقة هي مشابهة سمي المجاز (استعارة) وأن كانت العلاقة غير المشابهة سمي المجاز (مجازًا مرسلًا) وبحسب هذا فإنّ المجاز يشتمل على ثلاثة فنون هي: المجاز المرسل والمجاز العقلي والاستعارة وسأحاول هنا إن أتتبع ورود هذه الفنون في السور المفتتحة بالتسبيح و الدلالات التي جاءت عليها ومواطن الجمال والبلاغة فيها .

١ – المجاز المرسل

يدلُّ الارسال في اللغة على الاطلاق ومن ثم اطلق على نوع المجاز الذي أُرسل عن التقييد بعلاقة مخصوصة، وإنَّما تكون العلاقة بين المعنيين مطلقة وغير مقيدة بعلاقة المشابهة التي حددت بها الاستعارة، إذ تنحصر العلاقة فيها بالمشابهة وتتحرر العلاقة في المجاز المرسل من هذه العلاقة[٣].

لقد تعددت العلاقات في المجاز المرسل حتى تجاوزت خمسًا وثلاثين علاقة عند المتأخرين مثل الجزئية و الكلية و السببية و المسببة واعتبار ما كان واعتبار ما يكون و الحالية و المحلية و الالية و غيرها وسأحاول أن أضع اليد على ما جاء من هذه العلاقات في السور المفتتحة بالتسبيح وتفحص دلالاتها.

---

[١]– ينظر: النحو الوافي : ٤/٤١٥ .

[٢]– مفتاح العلوم : ١٧٠

[٣]– ينظر : مفتاح العلوم :١٩٥ والايضاح :٢٧٠

أ : الجزئية

ويقصد بها أطلاق (الجزء) وأراده (الكل) ومنه قوله تعالى :((وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ))[١] فقد اطلق الجزء (الرقبة) و أراد الكل (صاحب الرقبة) وقد وردت في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع منها :

أ – قوله تعالى:((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلى))[٢] فقد اطلق الجزء(اسم) وأراد الكل (ربك) فالتسبيح، أنَّما تسبيح الذات لا الاسم تنزيهًا له عن كل شائبة لأنّ المقصود كان تنزيه ذاته المتعالية ليكون تنزيهه بالقول موافقًا لتنزيهه بالفعل فالمراد بالاسم هو المسمى و المعنى نزهّه تعالى عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من الصفات و الافعال[٣] .

ب – قوله تعالى:((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ....))[٤] فأطلاق الجزء (قلوبهم) كان المقصود ان يخشعوا كلهم ((ففي الآية عتابٌ للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوة وعدم خشوعهم لذكر الله))[٥]، فالمعاتبون هم المؤمنون وليس قلوبهم .

ب – **الكلية :**

يقصد بها اطلاق (الكل) وارادة (الجزء) نحو قوله تعالى: ((يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ))[٦] فالجزء الذي يوضع في الأذن ليس الاصبع كاملًا وانما جزؤه الذي لا يكاد يتعدى الأنملة ، وقد جاء في مواضع قليلة في السور المفتتحة بالتسبيح مثل قوله تعالى ((وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ))[٧] فالمقصود بـ(الارض) ليس كل الأرض اليابسة وانما هي هي (الارض المقدسة) التي ذكرها في الآية ٢١ من سورة المائدة إذ قال ((ادْخُلُوا

---

[١]– النساء :٩٢

[٢]– الاعلى : ١

[٣]– ينظر الميزان في تفسير القران: ٢٠ / ١٤٩ ، ومجمع البيان : ٢٥٢/١٠ – ٢٥٣

[٤]– الحديد : ١٦

[٥]– ينظر: الميزان : ١٦٧/١٩

[٦]– البقرة :١٩

[٧]– الإسراء :١٠٤

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ))[1]، فيكون هنا قد اطلق الأرض (الكل) وأراد بها جزءًا من الارض (المقدسة) فيكون من باب اطلاق الكل وارادة الجزء .

ج – المحلية :

تبنى هذه العلاقة على ذكر (المحل) وارادة (الحالّ) بذاك المحل ومنه قوله تعالى ((فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ))[2]، فالمقصود بالدعوة هو (اصحاب النادي) وليس النادي بوصفه بناءً ، وقد وردت هذه العلاقة في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح ولعل من أوضحها ما يأتي:-

*قوله تعالى ((وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا))[3]، فالسعي انما يكون لما فيها من نعيم نعيم وحسن الثواب فاطلق الأخرة وأراد ما يحل فيها من الجزاء[4] .

ومنها- أيضًا – قوله تعالى:((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا))[5]، فقد اطلق المحل (القرية) وأراد به الحال بتلك الحال بتلك القرية (أهل القرية) إذ ليس الاهلاك متجهًا للمحل وإنما للحال به بدليل ذكر (مترفيها) بعد ذلك والسياق يشير الى انه عقوبة والعقوبة إنما توجه للذوات (الحال) وليس للجمادات (المحل) [6] .

ومنها قوله تعالى:((وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى))[7]، فالمرعى أسم مكان دال على الرعي والمقصود منه النبات الذي ترعاه الحيوانات بدليل قوله بعد ذلك :((فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى))[8] فوصفه بأنّه يابس أسود ، فالذي أخرجه الله وأبنته هو ما ترعاه الدواب ولكنه أطلق المحل (المرعى) بدلًا منه[9] .

---

[1]- ينظر : الميزان في تفسير القران : ٢١٥/١٣

[2]- العلق : ١٧

[3]- الإسراء : ١٩

[4]- ينظر : الميزان : ٦٥/١٣

[5]- الإسراء : ١٦

[6]- ينظر : الميزان : ٩٥/١٣

[7]- الاعلى :٤

[8]- الاعلى :٥

[9]- ينظر الميزان : ١٤٩/٢٠

د – السببية :

ويقصد فيها ذكر السبب وارادة المسبب كقوله تعالى: ((مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ))[١] فقد اطلق السبب (السمع) وأراد به النتيجة (القبول و العمل بالقران) وقد وردت هذه العلاقة في قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ))[٢] فالحقيقة أن أمر الله رسوله الكريم بقتال اليهود وكان سببًا في اخراجهم ولم يخرجهم بنفسه وإنما أخرجهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فَعُدَّ أمره بالإخراج (السبب) اخراجًا لهم بأن سلط الله المؤمنين عليهم وأمره بإخراجهم[٣].

هـ – الآلية :

ويقصد بها ذكر الآلة وإرادة الأثر الذي ينتج عنها لذلك قيل انها تعني تسمية الشيء باسم آلته ومنه قوله تعالى: ((وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ))[٤] فقد أطلق الآلة (لسان) واراد به ما ينتج عنه (الذكر الحسن) ، وقد جاءت في السور المفتتحة بالتسبيح في قوله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ))[٥]، فقد أطلق الآلة (الميزان) وقصد منه ما يفعل به أو يقصد منه وهو (العدل) ليقوم الناس بالعدل في معاملاتهم وقد يراد منه (الدين) وهو في كلتا الحالتين اطلق الآلة وأراد ما ينتج عنها[٦] .

٢ – المجاز العقلي :

يتعلق هذا النوع من المجاز بالتركيب و العلاقة الاسنادية وليس بالمفردات لذلك يسمى احيانًا بـ(مجاز الجملة) أو (المجاز الاسنادي)، ولأنَّه يغيرّ الحكم في اثبات شيء لشيء آخر ليس على نحو الحقيقة وسميّ أيضًا بالمجاز (الحكمي) ولكن التسمية الاشهر هي (المجاز العقلي) لأنه انما يحدث بالتصرف العقلي فيكون المجاز هنا عن طريق المعقول دون اللغة[٧] .

---

[١]– هود :٢٠

[٢]– الحشر : ٢

[٣]– ينظر مجمع البيان : ٣٨٧/٩

[٤]– الشعراء : ٨٤

[٥]– الحديد : ٢٥

[٦]– ينظر : الميزان : ١٧٧/١٩ – ١٧٨

[٧]– ينظر : اسرار البلاغة :٣٧٩ ، وشرح التلخيص :٢٣١/١

والمجاز العقلي يعني اسناد الفعل أو ما في معناه من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر لعلاقة تمنع أنْ يكون الاسناد على الحقيقة وعلاقة تجمع بين المعنيين تسوغ الاسناد الجديد[١] .

وللمجاز العقلي علاقات متعددة لكن أشهرها ست علاقات انحصر فيها المجاز عند البلاغيين وهي الفاعلية والمفعولية والمصدرية والسببية والمكانية والزمانية وكلها تمثل في اسناد الفعل أو ما في معناه الى هذه الاشياء على نحو من التصرف العقلي[٢] .

والحقيقة أني لم أجد في السور المفتتحة بالتسبيح الاّ علاقات هي السببية و الفاعلية و المكانية ويمكنني التعرض لها بالشكل الاتي :-

أ – **العلاقة السببية:** ويقصد بها ان يُسند الفعل أو ما في حكمه إلى السبب وجعله فاعلًا على نحو المجاز والتصرف العقلي، وقد جاءت في أكثر من موضع فيها قوله تعالى:((وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[٣]، فقد اسند الفعل (غركم) الى (الغرور) مجازًا وجعله فاعلًا له والحقيقة أنَّه سبب في حدوث الفعل وليس فاعلًا له[٤] ومنه ايضًا قوله تعالى:((وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ))[٥]، فقد اسند الهدى الى الكتاب والحقيقة إن الكتاب هو سبب الهداية؛ لأنّ من عمل به اهتدى ومن تركه ضل لذلك كان إسناد الهداية الى الكتاب مجازًا عقليًا علاقته السببية[٦] وليس ببعيد من هذا قوله واصفًا القرآن الكريم:((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ))[٧]، لأن قراءة القران سبب للشفاء فإذا قرأه المؤمنين كان سببًا في شفائهم وليس هو دواءً شافيًا على النحو المادي المعروف للأدوية[٨] ومن العلاقة السببية أيضًا قوله تعالى:((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا))[٩] فقوله:((أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)) لا يمكن

---

[١]– ينظر : دلائل الاعجاز : ٢٢٧ ، والايضاح : ٢١

[٢]– ينظر : الايضاح : ٢٢

[٣]– الحديد : ١٤

[٤]– ينظر : مجمع البيان : ٣٥٤/٩

[٥]– الإسراء : ٢

[٦]– ينظر : الميزان : ٣٥/١٣

[٧]– الإسراء : ٨٢

[٨]– ينظر : الميزان : ١٧٩/١٣

[٩]– الإسراء : ٩٤

يمكن أن يكون هو فاعل المنع ولكنه كان سببًا في امتناعهم عن الايمان لأنه يصدر عن كفر وعدم تصديق وتشكيك بالرسول فكان هذا الإنكار هو السبب في امتناعهم عن الايمان [١] .

ب – الفاعلية: ويقصد بها ما بني للمفعول وأُسند للفاعل مجازًا[٢]، وقد جاء في قوله تعالى ((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا))[٣]، فقد قال ((مستورًا)) و الحقيقة ان الحجاب ساترٌ فاسنده إلى المفعول (مستورًا) و أراد به الفاعل (ساترًا) لأنه يحجبه عنهم فلا يستطيعون ان يفقهوا حقيقة ما عنده من معارف القران ويؤمنوا به [٤] .

ج – المكانية : ويقصد ما بني للفاعل واسند الى المكان بأن جعل المكان فاعلًا على نحو المجاز ومن هذا قوله تعالى:((بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٥]، فقد جعل (الانهار) فاعلًا على نحو المجاز والحقيقة أنّه مكان الجري وانما يجري ما فيه من الماء[٦] ومنه أيضًا قوله تعالى:((يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))[٧] فالجاري ليس الأنهار، وانما الماء يجري في الانهار فما الانهار الاّ مكان يجري فيه الماء .

٣– الاستعارة :

الاستعارة : من استعار المال اي طلبه عاريةً [٨] (اي : استعارة) وهي لون من الوان المجاز اللغوي إذ تقوم على استعمال اللفظة في غير معناها الاصلي لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الاصلي[٩] .

---

[١]– ينظر : مجمع البيان : ٢٦٣/٦

[٢]– ينظر : الايضاح : ٣٢ ، وفنون بلاغية : ١٠٥

[٣]– الإسراء : ٤٥

[٤]– الميزان : ١١٠/١٣

[٥]– الحديد :١٢

[٦]– ينظر : التبيان في تفسير القران : ٣٨٨/٩

[٧]– الصف : ١٢

[٨]– ينظر : لسان العرب مادة : (ع و ر) : ٦١٢/٤

[٩]– البلاغة العربية وسائلها وغاياتها : ١٦٨ ينظر جواهر البلاغة : ٣٠١ والصور البيانية :٢٤٥

أخذ اصطلاح الاستعارة من الجذر اللغوي (ع و ر) الدال على اخذ عارية على ان يُردّ[١] يُردّ[١] فهو بشكل عام يدل على تداول الشيء والتعاصر في كل شيء[٢]، ثم نقل الى البلاغة البلاغة ليدل على ((تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه))[٣]، أو هي:((استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها))[٤]، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) فوضع لها حدودًا تفصلها عن غيرها فقال:((الاستعارة أنْ تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشتبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه))[٥]، فهذا التعريف قد صنّف الاستعارة بوصفها فرعًا على التشبيه وهي فكرة فيها قدر كبير من الدقة إلاّ أنَّ المؤاخذ عليه أنه حصرها في جهة (المشتبه به) وتجاهل (المشبه) وكأن الاستعارة حركة اللفظ من (المشبه به) الى (المشبه) فقط ولكن تعريف عبد القاهر الجرجاني للاستعارة كان منطلقًا لمن جاء بعده في النظر الى الاستعارة وتقسيماتها من جهة التشبيه فكانت مجازًا لغويًا مفردًا علاقته المشابهة في قبالة المجاز المرسل الذي تحرر من هذه العلاقة .

والاستعارة صورة من صور التوسع المجازي في الكلام إذ تحقق كثيرًا من الاغراض التي يريدها الاديب في صناعة الكلام أمتى لتعد من اهم اعمدة الكلام وعليها المعدل في التوسع والتصرف وبها يتوصل الى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر وتحقيق الأغراض التي لا يستطيع الأديب بلوغها بالحقيقة أو التشبيه أو غيرها من فنون البيان[٦] .

تُعدُّ الصورة الاستعارية لونًا في ألوان الرمز؛ لِمَا توحيه من معنى يجرّ المعنى الظاهر إلى معانٍ غير ظاهرةٍ [٧]، فهي صيغة من صيغ الشكل الفني في استعمالاته البلاغية تؤلف تؤلف بين المعاني في عملية ابداع جديدة تضفي على اللفظ إطار المرونة والنقل والتوسع وتضيف إلى المعنى مميزات خاصة وتضع أمام السامع صورة مرئية تنبض بالحركة

---

[١]- ينظر : لسان العرب : (ع و ر) : ٦١٢/٤

[٢]- ينظر : مقاييس اللغة : (ع و ر) : ١٥٠/٤

[٣]- البيان والتبين : ١٥٣/١

[٤]- البديع : ٣

[٥]- دلائل الاعجاز : ٥٣

[٦]- ينظر : علم البيان : ١٩٥ وفي علم البيان: ١٢٥

[٧]- تمهيد والنقد الحديث : ٢٣٢

والحيوية بسبب هذا النقل الذي قد دل على معنى آخر لا يتأثر من خلال واقعه اللُّغوي . [١]

فالاستعارة هي الوسيلة التي يجمع الذهن بواسطتها اشياء مختلفة لم تكن توجد بينهما علاقة من قبل[٢] فهي الاداة الرئيسة التي بها ترتبط الاشياء المتغايرة[٣] .

وقد بين عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) أهمية الاستعارة وقيمتها الدلالية في التعبير الكلامي بقوله : ((ومن الفضيلة الجامعة فيها أنَّها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدرة نبلًا وتوجب له بعد الفضل فضلًا أنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد أو شرف منفرد أو فضيلة مرموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنَّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ .... فأنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا والاعجم فصيحًا والاجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية ..... إنّ شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون))[٤] .

فالتعبير الاستعاري في نظر عبد القاهر هو من الاشياء التي تزيد الاسلوب جمالًا ورونقًا والأفكار وضوحًا ورفعة .

والاستعارة عنصر من العناصر المهمة في بناء الصورة التي تصدر عن خيال خصب مثمرٌ فان هذه الصلة الوثيقة بين الخيال والاستعارة [٥] جعلت من الصورة الاستعارية ذات دلالة ايحائية تنمو على دلالة صور التشبيهات ، فالاستعارة هي فرعٌ من التشبيه ويصدق عليها ما يصدق عليه من جهة البلاغة فهي تشبيه حذف أحد طرفيه والاداة وتعني الغاء محدودية الصور التشبيهية وتجاوزًا لتلك الفواصل بين الاشياء على اساس التفاعل والاندماج إذ تحمل السامع على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور[٦] .

---

[١]- ينظر: اصول البيان العربي :١٠٦

[٢]- الخيال مفهوماته ووظائفه : ٢٨١

[٣]- تمهيد في النقد الحديث : ٢٢٤

[٤]- اسرار البلاغة : ٤١

[٥]- ينظر الخيال مفهوماته ووظائفه : ٢٨٢

[٦]- ينظر: الصور البيانية : ٣٦٨

فالاستعارة أذن أعلى مقامًا من التشبيه لما يحصل فيها من تفاعل وتداخل بين الدلالات على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التشبيه بحيث توحي للمتلقي أن طرفي الصورة الاستعارية اتحدا حتى أصبح المستعار له كأنّه المستعار منه نفسه[١] فترتبط بواسطتها الاشياء المتغايرة وغير المرتبطة فـ(تجعل الشيء غيره والتشبيه يحكم عليه بانه كغيره) [٢] إذ أنها ((اقوى ايحاءً من التشبيه لما تتضمنه من سعة الدلالة وقوة التصوير))[٣] .

لقد قسمت (الاستعارة) تقسيمات متعددة أصاب بعضها وأغرق بعضها في التقسيمات [٤] لذلك سنحاول هنا أن نتتبع اكثر أقسامها شهرة وهي (التصريحية) و (المكنية) مراعاة للمقام

أ – الاستعارة التصريحية : هي الاستعارة التي يصّرح فيها بذكر المستعار منه (المشبه به) ويحذف المستعار (المشبه) وقد جاء هذا النوع من الاستعارة في عدد من الآيات و السور المفتتحة بالتسبيح.

لقد جاءت الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ((لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[٥]، فقد استعار لفظتي (الظلمات/النور) للدلالة على (الكفر/الايمان)[٦] فشبه الكفر بالظلمات وشبه الايمان بالنور وحذف المشبه (الكفر/ الايمان) وابقى المشبه به (الظلمات/ النور) فكانت الاستعارة تصريحية ، ومنها أيضًا قوله تعالى:((فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ))[٧]، فقد استعار لفظة (البينات) للدلالة على المعجزات فشبه المعجزات بالبينات التي تهدي لكنه حذف المشبه وذكر المشبه به (البينات) فكانت استعارة تصريحية ، وليس ببعيد عنه هذا قوله تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ))[٨]، فقد استعار لفظة (البينات) للدلالة على المعجزات مبالغة في التشبيه وادخالًا للمعنى بعضه في بعض [٩]

---

[١]– ينظر : الاسس النفسية الاساليب البلاغية : ٢٨٣

[٢]– الشفاء : الخطابة : ٢١٢

[٣]– النقد الادبي الحديث : ٤٥٨

[٤]– ينظر : اسرار البلاغة : ٢٩ والمثل السائر : ٧٥/٢

[٥]- الحديد : ٩

[٦]– ينظر : مجمع البيان : ٣٤٩/٩

[٧]– الصف : ٦

[٨]– التغابن :٦

[٩]– ينظر : مجمع البيان : ٢٣/١٠

ومنها أيضًا قوله تعالى: ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ))[١] فقد شبه عمل الانسان كطائر في عنقه فحذف (العمل) وذكر المشبه به (الطائر) على سبيل الاستعارة التصريحية لينتقل به الى مستقرة [٢] ومنها أيضًا قوله تعالى: ((أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا))[٣] والمعنى انه انه يرسل ريحًا كالحاصب ترميهم بالحجارة فحذف المشبه (ريحًا) وأبقى (حاصبًا) مبالغة في التشبيه فكأن الحجارة تحصبهم فلا تبقي منهم احدًا[٤] .

ب – الاستعارة المكنية: ويقصد بها الاستعارة التي لا يصرح بشيء من أركانها سوى لفظ المشبه[٥] إذ تقوم على حذف المشبه به وابقاء المشبه ومن ثم فهي على العكس من الاستعارة التصريحية وينماز هذا النوع من الاستعارة بأنه أغرق في التخييل من التصريحية حتى عدها عبد القاهر الجرجاني من الاستعارات التخييلية وتابعه في ذلك السكاكي والقزويني [٦] وقد جاءت في عدد من المواضع في السور المفتتحة بالتسبيح .

جاءت الاستعارة المكنية في قوله تعالى:((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى))[٧] فقد شبه الذكرى في النفع بالإنسان النافع وأثبت النفع للذكرى بعد أنْ حذفت المشبه به وقد أسهمت في تشخيص المعنوي (الذكرى) وجعلها محسوسة كأنها ترى[٨] ومنها ايضًا قوله تعالى: ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))[٩] فقد شبه (التجارة) بإنسان له القدرة على الانجاء الانجاء ولكنه حذف المشبه به (الانسان) واكتفى بالشبه (تجارة) واستعار له القدرة على الانجاء [١٠] على نحو من المبالغة في التشبيه فضلًا عن تشخيص المعنويات .

ثانيًا : الكناية :

---

[١]– الإسراء : ١٣

[٢]– ينظر : مجمع البيان :٢٠٥/٦

[٣]– الإسراء : ٦٨

[٤]– ينظر : مجمع البيان : ٢٤٣/٦

[٥]– ينظر : الايضاح : ٣٠٩

[٦]– ينظر : الفنون البلاغية : ١٣٨

[٧]- الاعلى : ٩

[٨]– ينظر : مجمع البيان :٢٥٤/١٠

[٩]– الصف : ١٠

[١٠]– ينظر مجمع البيان : ٤٢١/٩

الكناية في اللُّغة : مصدر كنى يُكنى وكنيته تكنية حسنة ، ولامها واو أو ياء يقال : كناه يكنيه ويكنوه[١] وذكر ابن منظور(ت٩١١هـ) في كنى:((الكنية على ثلاث أوجه : أحدهما ان ان يكنى عن الشيء الذي يستفمش ذكره . والثاني: أن يكنى الرجل باسم توقيرًا وتعظيمًا والثالث: ان تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف بها .... والكناية: ان تتكلم بشيء وتريد غيره ... واستعمل سيبويه الكناية في علامة المظهر))[٢].

وهي لفظ مسوق للدلالة على لازم معناه ولا يراد لذاته[٣] فهذا اللفظ وإنْ كان يمكن أنْ يراد يراد به معناه الحقيقي إلاّ أنَّ المراد من هذا التعبير هو ما يدلُّ عليه اللفظ وهو المعنى البعيد الذي يفهم من قرائن السياق .

تبنى الكناية على الاستتار لأنها مأخوذة من الجذر اللغوي (كنا يكنو) أو (كنى يكني) الذي يدل على عدم التصريح [٤] لذلك قيل فيها:((أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلًا عليه))[٥]، والمتفحص للتعريف المتقدم يرى فيه عددًا من الملاحظ الجديرة بالاعتناء مثل إنها انتقال باللفظ من الوضع الى غيره وانها من باب الايماء و الدلالة على المعاني فلا يوجد تطابق بين اللفظ والمعنى ، وقد عرفها القزويني(ت٧٣٩هـ) بأنها: ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذٍ))[٦] ويشتمل هذا التعريف على ركيزتين اساسيتين هما (الانتقال بين الملزوم الى اللازم) و (جواز ارادة المعنى الحقيقي) فاشتمل على أهم ما تفترق به الكناية عن المجاز الذي ينتقل من اللازم الى الملزوم مع عدم جواز أرادة المعنى الحقيقي .

---

[١]- ينظر الفنون البلاغية بلا نخبة : ١٦٣

[٢]- لسان العرب : (مادة كنى) : ٣٣٩/٣

[٣]- ينظر البلاغة العربية وسائلها وغايتها :٨٠-٨١

[٤]- ينظر : مقاييس اللغة : (مادة كنى) : ١١٣/٥

[٥]- دلائل الاعجاز : ٥٢

[٦]- الايضاح : ٣١٨

وقد تعرض القدماء[١] لمفهوم الكناية فكان لهم مباحث قيمة تحدثوا فيها عن بلاغتها وحسن موقعها في الكلام وأثرها في تفخيم المعنى وتوكيده وقد تباينت تعريفات الكناية عندهم فلم يتفقوا على تحديد مفهوم موحد للكناية إلاّ إنّ هذه التعريفات لم تبتعد في مضمونها عن دائرة المعنى اللغوي للكناية وهو: ((ان تتكلم بشيء وتريد غيره))[٢]

وقد توضحت معالم الكناية واستقر مفهومها على يد عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بقوله : (المراد بالكناية ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلًا عليه))[٣] .

أما مسألة عدّ الكناية من المجاز فقد ذهب عددٌ من علماء البيان من القدماء الى عدها نوعا من انواع المجاز . [٤]

ومن هؤلاء ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) الذي عدها جزء من الاستعارة وذلك بقوله : ((واما الكناية فهي جزء من الاستعارة..... وكذلك الكناية فأنها لا تكون الا بحيث يطوى المكني عنه ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاص الى عام))[٥] .

وذهب إلى ذلك ايضًا يحيى بن حمزة العلوي(ت١٣٤٥هـ) بقوله : ((اعلم ان الكناية واد من أودية البلاغة وركن من اركان المجاز))[٦] وقال ايضًا : ((ان العدول عن الحقيقة الى المجاز قد يكون لأمر يرجع الى المعنى وحده كما قد يعبر عن قضاء الوطر من النساء بالوطء وعن الاستطابة بالغائط ويترك لفظ الحقيقة استحقارًا أو تنزها عن التلفظ به لما فيه

---

[١]- ينظر : العمدة :٣٠٢/١ ودلائل الاعجاز : ٥٢ والمثل السائر : ٦٠/٣ والطراز : ٣٩٦/١

[٢]- لسان العرب مادة (كنى): ٣٣٩/٣

[٣]- دلائل الاعجاز : ٥٢

[٤]- الطراز : ٣٧٥/١

[٥]- المثل السائر : ٦٥/٣

[٦]- الطراز : ٣٦٤/١

من البشاعة والغلظ وقد نزه الله تعالى كتابه الكريم وخطابه الشريف عن مثل هذه الامور وعدل الى المجازات الشريفة لما ذكرناه))[١]

والذي يفهم من هذا القول ان الكناية بنظره جزء من المجاز ونوع من انواعه .

وذهب عدد من المحدثين الى عد الكناية ضربًا من المجاز[٢] . قال الدكتور الشفيع السيد: ((يتبين لنا ان الكناية تشارك المجاز في كونها نمطًا من التعبير يؤدي المعنى أداء غير مباشر و تشاركه ايضًا في وجود علاقة بين المعنى الثاني للعبارة ومعناها الأول وقد كانت هذه المشاركة في الامرين كفيلة باحتسابها ضربًا منه وعدم استغلالها بوصفها اسلوبًا ذا قاصبة متميزة))[٣] .

فالكناية ضرب من المجاز وليست تعبيرًا حقيقيًا مادام المعنى المراد منها ليس ما يدل عليه ظاهر اللفظ وانما هو معنى آخر بعيد يهدي إليه المعنى الظاهر لعلاقة تربط بينهما وان كان هذا المعنى اللغوي الذي يدل عليه اللفظ يمكن أنْ يراد به الحقيقة إذ المدار في هذا على المعنى المقصود هو المعنى البعيد لا على ما يدل عليه ظاهر اللفظ[٤] .

أن الاديب باستعماله التعبير الكنائي لا يريد الا المعنى المراد نقله إلى المتلقي وذلك بإثارة الانفعالات المناسبة في نفس المتلقي لذلك فهو لا يقصد بهذا التعبير الدلالة على المعنى الحقيقي (القريب) وإنّما يقصد الدلالة على المعنى المجازي (البعيد) وبهذا الوجه اي بإدارة المعنى البعيد . فتشارك الكناية المجاز .

ان التعبير الكنائي أقوى في اداء المعنى المراد من التعبير الصريح، لأنه يتضمّن ايرادًا لهذا المعنى مقرونًا بالدليل عليه[٥] حيث: ((ان كلّ عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أنّ اثبات الصفة بأثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها اكد وأبلغ في الدعوى من ان تجيء

---

[١]- الطراز: ١/٧٩-٨١

[٢]- ينظر : علم البيان ٢٥٥- والتعبير البياني -١٣٠ ، ومجاز القران: ٨٣ ، الاسس النفسية لأساليب البلاغية : ٢٨٨ .

[٣]- التعبير البياني : ١٣٠

[٤]- الاسس النفسية الاساليب البلاغية : ٢٨٨

[٥]- التعبير البياني : ١٣٢

اليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلًا وذلك لأنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلاّ والأمر ظاهر معروف))[١] .

فـ(الصورة) الكنائية تولد اقناعًا أكبر بالمعنى الذي تشير اليه بتوكيده وتقريره في نفس سامعه لأن النفس يكون تقبلها للمعاني أسرع وأكد اذا كانت مشفوعة بالشاهد الدليل))[٢] .

وما ينبغي الاشارة إليه أن التعبير الكنائي يرفع من قيمة المعنى البعيد الذي يشير اليه في نظر المتلقي ويعمل على توكيده في نفسه والاعتزاز به وتفخيمه [٣] .

وقد أشار الى هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله: أنَّ الصفة أنْ لم تأتي مصرحًا بذكرها أو مكشوفًا عن وجهها ولكن مدلولًا عليها بتعبيرها كان ذلك افخم لشأنها والطف لمكانها كذلك اثبات الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه الى السامع صريحًا وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والحرية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة فيه))[٤] .

ولاريب في أنَّ التعبير الكنائي أقوى تأثيرًا وايحاءً من التعبير الصريح حيث تتجلى خصوصية التعبير الكنائي في أنَّه لا يقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الصريحة وانما يبرز له جانبًا من المعنى ويخفي عنه جانبًا آخر وهو بهذا الشكل يفرض علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي يعرضه .

وتقسم الكناية باعتبارات متعددة ولكنّ أشهر تلك الاعتبارات هو تقسيمها باعتبار المكنى عنه فانقسمت على ثلاثة أقسام هي الكناية عن صفة والكناية عن موصوف والكناية عن نسبة[٥] وسأحاول أنْ اتفحص هذه الاقسام في السور المفتتحة بالتسبيح ولاسيما في القسمين الأوليين (عن صفة / عن موصوف) لعدم ورود القسم الثالث (عن نسبة) في السور المفتتحة بالتسبيح .

---

[١]- دلائل الاعجاز : ٥٧

[٢]- المصدر نفسه : ٥٧

[٣]- ينظر : البرهان في وجوه البيان : ١٣٣

[٤]- دلائل الاعجاز : ٢٣٦-٢٣٧

[٥]- ينظر : مفتاح العلوم : ١٩٠ و الايضاح : ٣١٩

١ – الكناية عن صفة

المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالشجاعة و الجبن و الكرم والبخل وغير ذلك مما يتصف به الانسان، فيريد المتكلم ذكر صفة من هذه الصفات فلا يذكرها صراحة وإنما يأتي بلفظ يفهم منه هذه الصفة بأن ينتقل من اللازم الى الملزوم كقولهم (كثير رماد القدر) المستعملة كناية عن الكرم؛ لأنّ لازم كثرة رماد القدر أنْ يكون كثير الطبخ الدال على كثرة الكرم .

لقد جاءت هذه الكناية في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع وسأشير الى عدد منها مراعاة للمقام .

من هذه الكناية قوله تعالى:((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ))[١] فقد اشتملت الآية على كنايتين عن صفة هما (البخل) في قوله ((مغلولة الى عنقك)) و (التبذير) في قوله تعالى (لا تبسطها كلّ البسط) الى ملزومين لهما وهما (البخل / التبذير و الاسراف)[٢]

ومنها قوله تعالى:((وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ))[٣] فقوله((نأى بجانبه)) كناية عن صفة الاستكبار و الاستعلاء والنأي بالجانب هو التباعد و المتباعد عن الناس من لوازمه الاستكبار و الاستعلاء و العُجب[٤] .

ومنها أيضًا قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا))[٥] كناية عن التلاحم و التعاضد وسد الفجوات والثبات فانتقل من اللازم (الصف) الى الملزوم وهو الثبات و التعاضد كأنه يشد بعضه بعضًا[٦] .

ومنها أيضًا قوله تعالى: ((وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ))[١] كناية عن الخذلان و الانهزام لأنّ من لوازم الأدبار التباعد ولما كان الحديث حديث حرب فأنّ الملزوم من هذا كله أنهم سيخذلونهم ويهربون[٢] .

---

[١]– الإسراء : ٢٩

[٢]– ينظر : الميزان : ٨١/١٣ – ٨٢ ، ومجمع البيان : ٢١٧/٦

[٣]– الإسراء : ٨٣

[٤]– ينظر : مجمع البيان : ٢٥٦/٥ ، والميزان : ١٨٢/١٣

[٥]– الصف : ٤

[٦]– ينظر : مجمع البيان : ٤١٧/٩ ، والميزان : ٢٥٩/١٩

ومنها أيضًا قوله تعالى: ((ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ))[٣] كناية عن السيطرة و التدبير ، بدليل ما جاء بعدها من مصاديق هذه السيطرة و التدبير إذ يقول: ((يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا))[٤]، فالاستواء على العرش كناية عن الأخذ في تدبير الملك لذلك عقّبه بالعلم بجزيئات الأحوال لأن العلم من لوازم التدبير[٥]

١- **كناية عن موصوف** : ويقصد بها أنْ يقصد الى ذكر ذات بلفظ غير مخصص لها في أصل الوضع اللغوي وانما هو لازم من لوازمه على سبيل الانتقال من الملزوم الى اللازم تأكيدًا على معنى فيه يريد أبرزاه ، وقد جاء هذا النوع من الكناية في السور المفتتحة بالتسبيح في عدد من المواضع سنتفحص عددًا منها مراعاة للمقام من هذه الكناية قوله تعالى: ((وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[٦] كناية عما تشتمل عليه الصدور من أسرار فالمعروف أنَّ مكان الاسرار هو صدور الخلق[٧] ومن هذه الكناية أيضًا قوله تعالى: ((وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ))[٨] كناية عن الاموال بذكر لازم من لوازمه وهو (الانفاق) فقد استخلف الله الانسان المال بوراثته إياه عمن قبله، والنكتة البلاغية فيه أنّه أراد تذكير الانسان أنَّ أمواله سيخلفه عليها غيره، ومن ثم فلابد من انفاقها في وجوه البر[٩] .

ومنه قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ))[١٠]، فقد كنى بـ(الاميين) عن العرب من سكنة مكة وقد اختلفت الأقوال في معنى (الأميين) بما لا يسع المقام هنا لذكره

---

[١]- الحشر : ١٢

[٢]- ينظر : مجمع البيان : ٣٩٤/٩ ، والميزان : ٢٢٠/١٩

[٣]- الحديد :٤

[٤]- الحديد : ٤

[٥]- ينظر: الميزان : ١٥٢/١٩

[٦]- الحديد : ٦

[٧]- ينظر : مجمع البيان : ٣٤٧/٩

[٨]- الحديد : ٧

[٩]- ينظر : مجمع البيان : ٣٤٨/٩

[١٠]- الجمعة : ٢

ولكنها في كلّ تأويلاتها تشير إلى أنّ المقصود به هم العرب ومن ثم فهو كناية عن موصوف[١] .

ومنه أيضًا قوله تعالى: ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا))[٢]، فقد جاء بـ(الذين حملوا التوراة) مكنيًا به عن (اليهود) بأن ذكر لازمًا من لوازمه وهو (التوراة) فهم المقصودون بالعبارة دون غيرهم مذكرًا أياهم بفضله عليهم وحجته إذ علمهم ما فيها من الشرائع فتركوها ولم يعملوا بها [٣] وليس ببعيد عن هذا ما جاء في قوله تعالى:((وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ))[٤] اذ كنى به عن اليهود والنصارى من دون ذكرهم صراحة بأن ذكر لازمًا من لوازمهم وهو (أوتوا الكتاب) .

---

[١]- التحرير والتنوير : ٢٠٨/٢٨

[٢]- الجمعة : ٥

[٣]- ينظر : مجمع البيان: ٧/١٠ ، والميزان : ٢٧٧/١٩

[٤]- الحديد : ١٦

الخاتمة

الخاتمة

بعد رحلة بحثية ماتعةٍ في رحاب القرآن الكريم في السور المفتتحة بالتسبيح من خلال تفحص هذه السور تفحصًا لغويًا بمستويات اللغة المعروفة (الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي) ظهر لنا التماسك القوي بين أجزائها وانسباك مفردتها بما يخدم الأغراض الكلية للقرآن الكريم فضلًا عن الأغراض الخاصة لهذه السور، ويمكن اجمال أهم النتائج التي توصلنا اليها بما يأتي:

١-ظهر لنا توجه هذه السور الى عرض مظاهر تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بساحة قدسه اذ جاءت السور المفتتحة بالتسبيح مشحونة بمظاهر التنزيه والتقديس فضلًا عما فيها من ذكر لعدد من الغيبيات كالخلق والاحياء والإماتة وفلسفة الانفاق في سبيل الله وما سوى ذلك مما قد يبدو غريبًا على المتلقي مما يستوجب ذكر التسبيح الله عن كل نقص

٢-ويبدوا لنا من خلال تفحص مخارج الأصوات التي جاءت ان سوره الإسراء بلغت اعلى النسيب في جميع مخارج الأصوات الا في الأصوات الاسنانية فقد جاءت في المرتبة الثانية اما اقل النسب ورودا في جميع المخارج فهي في سوره الأعلى

٣-ويتبين لنا من خلال تفحص صفات الأصوات التي جاءت ان سورة الإسراء وردت بأعلى النسب في جميع الصفات بينما يقابلها العكس ورودًا باقل النسب جاء في سورة الأعلى ماعدا صفة التفشي جاءت باقل النسب في سورة الصف

٤- ان الانتقال بين التعدي واللزوم سلوك يتجه اليه القران الكريم لتحقيق أغراض دلالية ،فقد يتجول الفعل من اللزام الى التعدي عن طريق الهمزة أو التضعيف لتحقيق معاني تجاوز الفعل فاعله الى المفعول به وكانه لا يقف عنده وكذلك لبيان كثرة حدوث الفعل ولاسيما في باب التضعيف

٥-ظهر لنا ان الفعل قد يتجول بين المتعدي الى اللازم عندما لا يكون لذكر المفعول به اثر في النص لان المفعول به لم يكن هو المقصود وانما المقصود هو بيان حدوث الفعل ووقوعه من دون النظر الى ما يقع عليه فالمهم هو الحديثة وليس الجهة المتجه اليها الحدث وقد ظهر هذا الوضوح في ذكر الاحياء والاماتة فقد كان الامر متجها نحو تخصيص هذه الصفات بالله سبحانه وتعالى

٦–وبدا لنا ان زيادة المباني تدل على زيادة المعاني وان المعاني التي تؤديها الصيغ المزيدة لا يمكن ان تؤديها الصيغ المجردة ومن ثم لم تكن الزيادات ترفًا لغويًا أو سلوكًا لغويًا عبثيًا غير ذي فائدة ،فكل ما جاء في القرآن الكريم من معانٍ أنّما هو امر مقصود وان المعاني تدور مع دوران المباني وتتأثر بها

٧– ان التقديم والتأخير سلوك لغوي عارض على الكلام يعرض للمتكلم بعد ان تتغير مواقع الأفكار في العقل وقد صدقت المقولة العربية القديمة التي تذهب الى ان التقديم باللسان تبع للتقديم بالجنان فتتغير مواقع الالفاظ بحسب تغيير المعاني في الذهن فيأتي التقديم ليفيد معاني متعددة مثل التخصيص والاعتناء والاهتمام وغيرها .

٨–وظهر لنا ان أجزاء النص كلها يمكن ان تتبادل المواقع في ما بينها وتتحرك الالفاظ مغادرة مواقعها وليس هناك من شرط حاكم سوى امن اللبس وقد حصل التقديم والتأخير في السور المفتتحة بالتسبيح ليلائم المعنى العام الذي يحف بهذه السور

٩– ان الاستغناء عن الالفاظ وحذفها كان ضمن حركة نصية تسعى الى سد فجوات النص وشحن مفاصلة لها ولأنها سور مشحونة بالتنزيه ورد الشبهات فقد جاءت نصوصها في الغالب مركزة في الدلالة من اجل الحفاظ على الشحن القوي للدلالات التي يتضمنها النص

١٠– من خلال باب الاطناب ظهر لنا ان الزيادة على التراكيب الأساسية أو ما يعرف بمتعارف الأوساط إنّما كان لفضل زيادة على الدلالة الأساسية لم نكن لتؤديها تلك البنى الأساسية فجاءت الزيادات لتحل معاني الاحتراس والاعتراض والتتميم والتفصيل بعد الاجمال وغيرها ولم تكن حشوًا أو لغوًا

١١–ظهر لنا من خلال تفحص العلاقة بين الدال والمدلول ان ثمة إشكالات قد تعترض البدا الرئيس المتمثل في الانفراد بان يكون لكل معنى لفظ واحد يدل عليه فتغادر الالفاظ هذه السمة لتتعدد الالفاظ إزاء المعنى الواحد أو تتعدد المعاني التي يمكن ان يؤديها اللفظ الواحد وهو ما يعرف في الدرس الدلالي باسم الترادف والاشتراك والاضداد ولكننا لما تفحصنا الآيات القرآنية في السور المفتتحة بالتسبيح

وجدنا ان هذه المظاهر قليلة جدًا بل اكاد احزم انها معدومة وان ما يلاحظ من بعض هذه المظاهر يتم حله بالسياق فاذا ادخلنا السياق والمعنى المركزي ظهر لنا الفرق الواضح بين الالفاظ المترادفة أو المشتركة أو المتضادة وهو امر يتناسب مع كون القران الكريم كتاب منزه .

١٢-ان السور المفتتحة بالتسبيح زاخرة بألفاظ المجاز والاستعارة والكناية والذي اعتقد انه جاء ملائمًا لما في هذه السور من مفاهيم قد تضيق الحقائق عن التعبير عنا لما فيها من مفاهيم عقلية يلائمها اطلاق الذهن للعقل للانطلاق في مساحات واسعة من التفكير دون تحديده بالأفق المحدود للحقيقة .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **أوّلا: القرآن الكريم**
- **ثانيًا: الكتب المطبوعة**

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ،الدكتورة خديجة الحديثي ،ط١ ،١٩٦٥م
- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تعليق: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٣٢م.
- الاسس النفسية لأسالب البلاغة العربية ناجي مجيد عبدالحميد ط ١ ، ١٩٨٤م .
- اسماء الله الحسنى دراسة في البينة و الدلالة ، الدكتور احمد مختار عمر ط ١ ١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م .
- الأصوات اللغوية: الدكتور ابراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٥٧م.
- اصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم الدكتور محمد حسين علي الصغير ط١ ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م .
- الأضداد: أبو بكر محمد بن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
- اعجاز القران الباقلاني (ت٤٠٣هـ)،تحقيق السيد صفر، ط٣ ،دار المعارف مصر
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للفقيه ناصر مكارم الشيرازي،ط١، ١٣٨٤هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (ت٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع): جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح :

د. محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوّض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريّا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- البحر المحيط (تفسير القرآن الكريم): أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ،الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ،تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- البرهان في وجوه البيان ،أبو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب ،قدمه الدكتور حنفي محمد شرق
- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم :الدكتور علي ابو القاسم عون ،ط١ ،٢٠٠٦م ،بيروت _لبنان
- البلاغة العربية و سائلها و غايتها في التصويب البياني _ ربيعي محمد علي عبدالخالق،١٩٨٩م .
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل ،منير سلطان ،مؤسسة المعارف للنشر والطباعة.
- البلاغة و الأسلوبية ، الدكتور محمد عبدالمطلب ط،١ ١٩٩٣م .
- البيان والتبين ،لابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ،قدمه الدكتور غلي بوملحم .
- تاج العروس من جواهر القاموس ،السيد محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) ،تحقيق ابراهيم الشرزي ،بيروت –لبنان .
- التبيان في علوم البيان المطلع على اعجاز القرآن :ابي الزملاكاني (ت٦٥١هـ)تحقيق الدكتور احمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي ،ط١ ١٣٨٣هـ_١٩٦٤م

- تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي ،محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) ،ضبطه وراجع اصوله وصححه عبد الرحمان محمد عثمان ،دار الفكر .
- التطور النحوي للغة العربية ، لبرجستراسر، ترجمة :رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة، ١٤٠٦هـ_١٩٨٢م.
- التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، شفيع السيد ،ط١ ، ٢٠٠٦م.
- تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، قاضي القضاة أبي السعود المكي(ت٩٠٠هـ)، تحقيق: عبدالقادر عطا.
- تفسير التحرير والتنوير: سماحة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ،تونس ،١٩٨٤م.
- تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور: للأمام بن الكمال السيوطي(ت٩١١هـ) تحقيق: دار الفكر، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- تفسير روح البيان :أسماعيل حقي (ت١١٣٧هـ)دار الفكر ،ط١، ٢٠٠٦م.
- تفسير القران العظيم (تفسير ابن كثير) ،ابن كثير ،اسماعيل بن عمر بن كثير بن درع القريشي البصروي ثم الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ،تحقيق سامي بن محمد السلامة ، ط٢ ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- التفسير الكبير: الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ، ط٤ ، بيروت . لبنان ٢٠٠١م .
- تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ): السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.
- التمهيد في النقد الحديث :روز غديب ، ١٩٧١ م .
- ثلاث رسائل في اعجاز القران ،للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرانية والنقد الادبي ،حققها وعلق عليها محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول سلام ،دار المعارف بمصر،الطبعة الثالثة

- جامع البيان عن تأويل أي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.
- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ،طبعة جديدة مصححة وملونة ، دار احياء التراث العربي ،بيروت–لبنان،الطبعة الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م
- الجامع لا حكام القران والمبين لما تضمنه من السنه واي الفرقان ،ابي عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ،تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي ،الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م
- الجديد في فن التجويد المقرئ الحاج مصطفى الصراف الكربلائي ط٣ ،٢٠٠٣م _ ١٤٢٤هـ .
- جمال القراء وكمال الاقراء ،لعلم الدين السخاوي علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ،مكتبة التراث – مكة المكرمة ،٢٠٠٨م
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ)، طبعة بالأوفسيت، دار صادر، بيروت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي(ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان.
- الخصائص ،ابي الفتح عثمان بن جني ،المحقق محمد علي النجار ،المكتبة العلمية
- الخيال مفهوماته و وظائفه د.عاطف جودة نصر ،١٩٨٤م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،الدكتور غانم قدوري الحمد ،الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م
- دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧١م.

- دروس في علم الاصوات العربية ،لجان كانتيو ،نقلة الى العربية :صالح القرمادي ،نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس، ١٩٦٦
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، حققه وقدم له: د.رضوان الداية ،والدكتور فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سر الفصاحة للأمير بن سنان الخفاجي الحلبي ت٤٦٦هـ ، تحقيق علي فوده ط١ ١٣٥٠هـ – ١٩٣٢ م .
- شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١٦، ١٩٦٥م.
- شرح ابن عقيل قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله بن عقيل (ت٧٦٩هـ) على الفية ابن مالك _ ابي عبدالله محمد جمال الدين بن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ .
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك الحسن(منهج السالك الى الفية ابن مالك)حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ، الطبعة الاولى ،١٣٧٥هـ–١٩٢٥م.
- شرح التصريح على التوضيع للشيخ الامام الهمام خالد بن عبدالله الأزهري على الفية أبم مالك في النحو و الصرف ، الشيخ الامام العلامة جمال الدين ابي حمد بن عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، ايران .
- شرح الرضي على الكافية الرضي الاستربادي ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ،طبعة جديدة مصححة ومذيلة ،١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.
- شرح المفصل ، للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش ت ٦٤٣هـ ، صححه و علق عليه حواشي نفسه بصد مراجعته على أصول خطبة بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور .

- شرح شافية ابن الحاجب ،رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت٦٨٤هـ) ،تحقيق محمد نور الحسن ،ومحمد الزفزات ومحمد محي الدين عبد الحميد،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٩٩٤م.
- شروح التلخيص _ ابن يعقوب المغزي بهاء الدين السيكي .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها للعلامة الامام أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي(ت٣٧٧هـ) اللغوي صفقة و ضبطه نصوصه الدكتور عمر بن فاروق الطباع، ط١، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٣م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،دار الكتاب العربي بمصر.
- الصرف الكافي ، ايمن امين عبدالغني ، مراجعة أ. د عبده الراجحي ، و أ. د رشدي طعيمه _ ط٥ ، ٢٠١٠م .
- الصناعتين في الكتابة والشعر: أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد إبراهيم، الناشر: عيس البابل حلبي ط١، ١٣٧١هـ.
- الصورة البيانية في الموروث البلاغي الدكتور حسن طيل ، ط١ ١٤٣٦هـ _ ٢٠٠٥م
- الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية و بلاغية ، الدكتور محمد حسين علي الصغير .
- العربية وعلم اللغة الحديث: ممحمد محمد داود، دار الغريب،٢٠٠١م.
- علم الأصوات: د.كمال بشر، دار غريب القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علم البيان في البلاغة العربية الدكتور عبدالعزيز عتيق ط ١ ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م .
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب،١٩٩٨م.
- علم المعاني في البلاغة العربية: للدكتور عيد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة العربية، بيروت لبنان،١٤٣٠هـ.

- العمدة في صناعة الشعر و نقده ، ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٦٣هـ (٣٩٠ _ ٤٥٦هـ) ، صففه محمد محي الدين عبدالحميد ط٢ ، ١٣٧٤هـ _ ١٩٥٥م .
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،١٩٨١م.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٤ هـ.
- فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة السادسة، مطبعة خانجي،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، الطبعة السادسة ١٩٦٨م .
- فنون بلاغية البيان – البديع – الدكتور احمد مطلوب ط ١ ، ١٧٩٥هـ _ ١٩٧٥م .
- في اللهجات العربية: الدكتور ابراهيم أنيس، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٧٣م.
- كتاب البديع ،ابو العباس عبدالله ابن المعتز(ت٣٩٩هـ) ،شرحه وحققه عرفان مطرجي، الطبعة الاولى ،١٤٣٣هـ-٢٠١٢م
- كتاب الحيوان: أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون،ط٢، ١٣٨٦م.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز ، السيد الامام امام الائمة الكرام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ١٢٢٢هـ _ ١٩١٤م .
- كتاب المقتضب ابي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ _٢٨٥هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ط٣ ١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م .
- كتاب النكت في اعجاز القران :ابي الحسن علي بن عيسى الرماني ،عنى بتصحيحه الدكتور عبد العليم ،١٩٣٤هـ

- الكتاب سيبويه،ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،الطبعه الثالثة ،١٤٠٨هـ_١٩٩٨م
- الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى ١٤٢٢ هـ. ٢٠٠٢ م.
- اللباب في علل البناء والاعراب ،ابي البقاء العكبري محب الدين عبدالله بن الحسين البغدادي (ت٦١٦هـ)، تحقيق محمد عثمان ، الطبعة الاولى ،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م
- اللباب في علوم الكتاب: للمفسر أبي حفص عمر بن علي(ت٨٨٣هـ)تحقيق: عادل أحمد عبد الموجد، علي حمد معوض، محمد سعد رمضان، محمد المتولي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب: جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٣٩م.
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) تحقيق: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٤٦٠هـ)، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٣٧٩هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المحيط في اللغة: الصاحب أسماعيل بن عباد(ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م.
- مخارج الحروف وصفاتها ،للأمام ابي الاصبغ السماني الاشبيلي المعروف بابن الطحان ،(ت٥٦٠هـ)،تحقيق الدكتور محمد يعقوب تركتاني ،الطبعة الاولى ،١٤٠٤هـ_١٩٨٤م
- مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) ، ط١، الكاتب العربي، بيروت، لبنان ١٩٧٩م.
- المدخل الى علم اصوات العربية ،الدكتور غانم قدوري ،الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث ،رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة، الطبعة الاولى ،١٩٨٢
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي ،عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي ،المحقق حسين سليم اسد الداراني ،الطبعة الاولى ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
- معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي): أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- معجم التعريفات ،للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ-١٤١٣م) ،تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية،ط١٤٢٩،٤هـ،٢٠٠٨م.

- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف ين أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ١٣٤٨هـ.
- المفردات في غريب القران ،ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ،تم التحقيق والاعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ،٢٠٠٨
- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦هـ.

المقتضب: أبو العباس المبرد(ت٢٨٦هـ) تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، ط١٤١٥،١هـ.

- منهاج البلغاء و سراج الأديان ابي الحسن حازم القرطاجي ت٦٨٤هـ ، تحقيق حمد الحبيب ابن الخوجة ط٣ ١٦٨٦م .
- المهذب في علم التصريف ،الدكتور هاشم طه شلاش والدكتور مهدي الفرطوسي والدكتور عبد الجليل عبيد حسين ،مطبعة التعليم العالي في الموصل
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرقمية و الحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ط ٣ .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد المعين خان، طبعة مجلس المعارف الاسلامية، حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.
- النقد الأدبي الحديث ،الدكتور محمد غنيمي هلال ،١٩٩٧
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، الدكتور نعمة رحيم العزاوي_
- نهاية الايجاز في رواية الاعجاز :الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ_٢٠٩م)عارضه بأصوله وحققه بالمقاومة مع اسرار البلاغة

ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني وعلق عليه الدكتور نصر الله حقي اوغلى ،الطبعة الاولى،١٤٢٤هـ_٢٠٠٩م

- الواضح في احكام التجويد ، الدكتور محمد عصام و الدكتور احمد خالد شكري ، والدكتور احمد محمد ، دار النفائس _ الأردن .
- الواضح في احكام التجويد ،الدكتور محمد عصام مفلح القضاة ،مراجعة ومشاركة ،الدكتور احمد خالد شكري والدكتور احمد محمد القضاة ،دار النفائس الاردن
- الواضع في التفسير ، السيد عباس علي الموسوي ط١ ٢٠١٢م .
- الوجيز في تفسير القرآن الكريم ،شوقي ضيف ،الطبعة الثالثة ،القاهرة دار المعارف ،٢٠١٠م

- **ثالثًا: الرسائل والإطريح**

- الابنية الصرفية في الصور المدنية (دراسة لغوية دلالية) ، اعداد عائشة محمد سليمان قشوع ،إشراف أ. د. أحمد حسن حامد ،٢٠٠٣
- الايجاز والاطناب دراسة تطبيقية في القران الكريم الثلث الاول ،اعداد هند عبد الفتاح عبد التام إسماعيل ،أشراف د. الجبر يوسف نور الدائم ،٢٠٠٢م
- الترادف في القران الكريم –دراسة تطبيقية على الربع الاخير من الذكر الحكيم ،اعداد الطالبة سميرة علي أحمد شهوب ،أشراف د. محمد متصف ،٢٠٠٢

Abstract:

Glorification is considered a past expression (glorified) or the present (glorify) while the imperative form is (to glorify). Thus, glorification had are remarkable presence in the holy Quran where it was mentioned in eighty seven times including what was said about it, to the extent that it initiated seven Quranic Suras: these were (Al – Isra, Al- Hadid, Al-Hashr, As- Saff, Al- Jumua, At-taghabun,and Al- Ala), where these suras which started with glorification as " Al Musebihat".

The scholars divided holy Quranic suras into four categories (the longest ones. Over hundred, Al Methani, and the detailed). So, the longest suras are the longest holy Quranic suras such as (Al- Baqara, Al- E-Imran, An- Nisa, ans Al - Araf). Over hundred suras come after the longest suras, which called by this name for they are about hundred (more or less) like (Yunus, Hud, Yusuf, Al- Rad, Ibrahim, Al- Hijr, An-Nahl, Al – Isra, Al- Kahf and others). Al methane suras are those suras that come after the over hundred; that means, they came after the detailed. What is left from the hoy Quran were the long, middle, and the short ones. They called the detailed due to the muchness of separators between suras. All suras that start with glorification within " Al Methani" save Al Israa that falls within over hundred suras.

The current study are interested in the phonological and syntactic aspects of the " glorification" suras. Therefore, manners and place of sound articulation were studied. While the syntactic aspect interested in meanings, affixes, the intransitivity, and the transitivity. It is also interested in the structural aspect; thus, it studied fronting, postponing, brevity, and periphrasis. Moreover, it studies the semantic aspect, where the semantic relations were studied, and the shifting from the catcher And the caught. At the end , the study reached to significant results.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Kerbala University
College of Education for Human Sciences
Department of Arabic

The Quranic Suras Starting with Glorification: A Linguistic Study

by:
Zehraa Mohammed Keream Al Beheyah

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for
Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for
the Requirements of Master Degree in Arabic / linguistics.

The supervisor:
Prof. Dr. Mekki Muhiy Edan Al Kelabi

2021 A.D. 1443 H.